مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٥

التأثيرات الفنية اليونانية
فى شبة الجزيرة العربية فى العصر المتأغرق

إعداد

د / إيمان عبد العزيز

كلية الآداب – جامعة طنطا

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الخمسون

يوليو ٢٠٠٢

التأثيرات الفنية اليونانية
فى شبه الجزيرة العربية فى العصر المتأغرق

هناك عدد كبير من الأبحاث والدراسات التى تتناول بعض جوانب العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والعالم اليونانىّ،(١) وتوضح كيفية تطورها فى العصر المتأغرق (أو: الهللينستىّ)، إلا أن غالبية تلك الأعمال تقتصر فى موضوعاتها فى أكثر الأحيان على العلاقات السياسية والاقتصادية،(٢) وما يتطرق منها إلى السمات الحضارية والآثار اليونانية أو الآثار ذات التأثير اليونانىّ فى شبه الجزيرة يفعل ذلك بإيجاز أو بشكل عابر.(٣) وكما يلحظ بوتس مؤخراً فى معرض حديثه عن مدينة ثاج فى شرق شبه الجزيرة العربية، فقد "تمت من قبل دراسة تأثير الحضارة اليونانية فى الهند وفى أفغانستان وإيران والكويت، إلا أننا حين نتجه إلى الجزيرة العربية ونتجاوز منطقة التأثيرات النبطية نجد أن هذه التأثيرات لا تزال أبعد ما تكون عن الوضوح."(٤) وعلى الرغم من أن حدود هذه الدراسة لا تسمح بمناقشة هذا الموضوع بتفاصيله الدقيقة، فإن الإشارة إلى بعض الآثار التى ترجع إلى العصر المتأغرق، والتى عثر عليها فى شبه الجزيرة، وتحديد أسلوب للبحث يتيح دراسة هذه الآثار بشكل منهجىّ، يمكن أن يساعدانا على تفهم المسار الحضارىّ للمنطقة، مثلما يمكن أن يوضحا الفكرة السائدة عن تطور علاقات اليونانيين بالمنطقة، خاصة وأن التنقيبات الأثرية التى تمت فى السنوات الأخيرة أظهرت الكثير مما لم يكن معروفاً من قبل.(٥)

لقد توفى الإسكندر فجأة فى بابل عام ٣٢٣ ق.م، ومات معه بدون شك عدد كبير من الأفكار والمشروعات التى لم يكن يشاركه فيها الرأى جنوده وقادته، والتى لم يكن بمقدورهم أيضاً تنفيذها. وعلى الرغم من أن أريانوس

الذى اشتهر بكتابه عن حملات الإسكندر يذكر أن المصادر القديمة ذاتها لا تجمع على طبيعة مشروعاته، فإنه يؤكد أن هذا القائد كان ينوى أن يبحر حول شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا وليبيا وغيرها من البلدان الأخرى حتى يستطيع أن يحمل عن جدارة لقب "ملك كافة الأراضى الآسيوية".(٦) وبعد وفاة الإسكندر تأسست الدولة السليوقية على الحدود الشمالية لبلاد العرب، وتأسست فى مصر الدولة البطلمية. وقد حرص السليوقيون منذ بداية عهدهم على تكوين علاقات ودية مع العرب المقيمين على الساحل الشرقىّ لشبه الجزيرة، كما أنهم حاولوا أيضاً تقوية علاقاتهم مع الأنباط المقيمين فى شمالها الغربىّ، بعد ضياع ممتلكاتهم الشرقية.(٧) من ناحية أخرى جاهد البطالمة فى البداية للسيطرة على سوريا الخالية واتجهوا إلى تقوية نفوذهم فى البحر الأحمر، مثلما كانت لهم أيضاً علاقاتهم الوثيقة مع كثير من الدويلات العربية المطلة على ساحله الشرقىّ.(٨) وترتبط علاقات بلاد العرب وما كان بها من دويلات وممالك، سواء أكانت هذه فى المواقع المشار إليها أم فى قلب وجنوب شبه الجزيرة العربية، بهاتين الدولتين طوال الثلاثة قرون التى أعقبت وفاة الإسكندر، ارتباطاً قوياً إلى حد أنه يمكن النظر إلى أحداث هذه المرحلة من خلال إطار يجمع بين هذه الأطراف الثلاثة ويوضح قوة التأثير الذى كان لكل طرف منها على الآخر، وقوة تأثره به.

وتساعدنا الآثار التى عثر عليها فى شبه الجزيرة العربية والتى ترجع إلى العصر السابق للإسكندر الذى يعرف بالعصر الكلاسيكىّ، وإلى العصر التالى له المعروف بالعصر المتأغرق أو الهللينستىّ، على تحديد مدى التطور فى جوانب هذه العلاقات. ولتحقيق هذا الأمر تقترح هذه الدراسة النظر إلى هذه الآثار من زاويتين أساسيتين. وتتمثل الزاوية الأولى فى التمييز بين الآثار اليونانية الخالصة والآثار ذات التأثير اليونانىّ، بينما تتمثل الأخرى فى عقد مقارنة بين خريطة هذه الآثار فى العصر الكلاسيكىّ وبين ما يرجع منها إلى العصر التالى له. وهنا يمكن القول - إجمالاً - بأن هذه الآثار التى تتسم بالقلة وبكونها متناثرة على حدود المنطقة فى العصر الأول، ازدادت

أعدادها، وتعددت أنواعها، ووصلت فى انتشارها إلى مناطق لم تصل إليها من قبل، فى العصر الأخير. ولا شك أن هذا الانتشار كان نتيجة للمحاولات الجادة من جانب اليونانيين منذ بداية العصر المتأغرق، كما يوضح أريانوس وغيره من الكتاب الكلاسيكيين، للتعرف على شبه الجزيرة العربية.(٩) وبمرور الوقت، لم تتوقف تلك المحاولات عند المناطق الساحلية، بل تعدتها لتصل إلى قلب الجزيرة، كما أقام اليونانيون (بطالمة وسليوقيون) عدداً من المدن الساحلية فى البحر الأحمر وفى الخليج العربى ذات مهمة مزدوجة: لكى تكون محطات تجارية على الطرق البحرية ونقاط اتصال مع ما يقع وراءها من مناطق برية.(١٠) وبالإضافة إلى ذلك سار اليونانيون مع طرق القوافل المهمة المارة بشبه الجزيرة، وأصبحت المراكز التجارية على هذه الطرق نقاط التقاء وتبادل حضارى مباشر بينهم وبين العرب المقيمين بها ومن حولها.(١١)

وفيما يتعلق بالآثار اليونانية التى تسبق مجىء الإسكندر، فإنه يمكن الإشارة - بداية - إلى المعثورات التى كشفت عنها أعمال التنقيب فى شمال غرب شبه الجزيرة وفى منطقة فلسطين. لقد شهدت هذه المنطقة توافد اليونانيين بأعداد كبيرة منذ القرن السادس قبل الميلاد، مثلما شهدت أيضاً نشأة بعض المراكز التجارية اليونانية.(١٢) من ناحية أخرى بدأت بعض القبائل العربية تستقر فى منطقة فلسطين وصحراء النقب فى هذه المرحلة التى شهدت ازدهار التجارة المعينية.(١٣) وقد عثر فى هذه المنطقة على كميات من الفخار الإيونى (الوافد من ساحل آسيا الصغرى الغربىّ) وكذلك الفخار الأثينىّ ذى الأشكال السوداء.(١٤) وفى القرن الخامس قبل الميلاد حل الفخار الأثينىّ ذو الأشكال الحمراء محل نظيره والسابق له من حيث التطور الفنىّ، ذى الأشكال السوداء، وعلى ما يبدو فقد أصبح هذا النوع الجديد فى وقت قصير "من أكثر السلع المستوردة رواجاً فى الإقليم،"(١٥) مثلما أنه يمكن القول بأنه بدأ ينتشر ابتداء من النصف الثانى من القرن ذاته انتشاراً "على نطاق أوسع من ذى قبل."(١٦)

وإلى جوار هذه القطع الفخارية وجدت أيضاً بعض العملات اليونانية

طريقها إلى المنطقة. وقد أتت هذه العملات من مناطق عديدة من بلاد اليونان واشتملت على عملات إيونية وقبرصية بالإضافة إلى التراقية التى كانت منتشرة بدرجة أكبر منهما. ومع ذلك فقد كانت غالبية العملات الموجودة إما أثينية أو من جزيرة إيجينا، وترجع هذه العملات إلى أواخر القرن السادس وأوائل الخامس قبل الميلاد.(١٧) ومثلما تميز الفخار الأثينىّ بين الأنواع الواردة من بلدان أخرى من العالم اليونانىّ، فقد أصبحت العملة الأثينية "العملة الرسمية فى التعامل فى فلسطين منذ أكثر من قرن وربع قبل الغزو المقدونىّ." ولم يقتصر الأمر على استخدام العملة اليونانية بشكل عام أو الأثينية بشكل خاص، بل إن دور صك العملة المحلية بدأت فى صك عملاتها على غرار العملة الأخيرة فى الوقت ذاته الذى نلحظ فيه أيضاً أن الفخار المحلىّ يعكس تأثيراً أثينياً واضحاً. ومن الطريف أن البومة الأثينية ظلت تصور على عملة المنطقة حتى فقدت مع مرور الوقت ما يربطها بهذا الطائر من سمات مميزة.(١٨)

وبطبيعة الحال فقد كان لهذا التأثير اليونانىّ فى منطقة فلسطين والنقب امتداده فى المراكز التجارية الواقعة إلى الجنوب على الطريق الذى ينتهى بجنوب غرب الجزيرة. لقد عثرت البعثة التى قامت مؤخراً بالتنقيب فى مدينة تيماء على ما يثبت وصول هذا التأثير إلى المدينة حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. وفى إحدى غرف قصر الحمراء الذى يعد واحداً من أهم مبانى المدينة القديمة، وعلى "الأرض الصخرية مباشرة،" تم العثور على بعض قطع العملة النحاسية التى انطمست معالمها، باستثناء قطعة واحدة أمكن تمييز صورة البومة الأثينية عليها. وبينما يرجح المنقبون أن هذه العملة يونانية الأصل فإنهما يحددان تاريخها بحوالى ٤٥٠ ق.م،(١٩) أى الوقت نفسه الذى يشير إليه أولبرايت فيما يتعلق بانتشار العملة الأثينية فى فلسطين.

ونظراً لأن الفخار والعملة يرتبطان ببعضهما البعض فيما يتعلق بالدلالة الاقتصادية لأماكن وجودهما وطبيعة العلاقات بين هذه الأماكن ومصادرهما الأصلية، فإنه يمكن التأكيد بطبيعة الحال على ازدياد العلاقات التجارية بين

الحدود الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية وبين بلاد اليونان فى تلك الآونة التى ضعف فيها دور الفينيقيين بوصفهم وسطاء تجاريين بين بلاد العرب واليونان، والتى كثرت فيها المستوطنات اليونانية فى شرق البحر المتوسط.

من المهم أن نلحظ كذلك أن التأثيرات اليونانية المشار إليها لم تقتصر على الشمال الغربىّ لشبه الجزيرة العربية. ونظراً لأن النشاط التجارىّ المزدهر فى تلك الآونة بين بلاد اليونان وشرق البحر المتوسط كان يقابله فى حقيقة الأمر ازدهار مماثل بين المنطقة الأخيرة وجنوب شبه الجزيرة وجنوبها الغربىّ، فليس بعجيب أن نجد هنا أيضاً بعض الآثار التى تعكس هذه التأثيرات. لقد تم الكشف فى منطقة حريضة بحضرموت عن بعض المباخر المكعبة الشكل والمصنوعة من الحجر الجيرى، والتى زينت جوانبها بحفر غائر يمثل تكوينات هندسية وأشكال حيوانية، وتتشابه هذه المذابح مع نظيراتها التى عثر عليها فى جنوب فلسطين تشابهاً واضحاً.(٢٠) وفى حضرموت أيضاً تم الكشف بطريق الصدفة عن تمثال برونزى عندما جرفته السيول إلى بداية وادى جيردان. ويصف الدراسون هذا الأثر، الذى يبدو بوضوح أنه تمثال لمحارب إسبرطىّ، بأنه "فى غاية الأهمية." وتتمثل أهميته فى أنه ينتمى بأسلوبه الفنى إلى مرحلة تعرف فى تاريخ الفن اليونانىّ بالعصر المبكر، ويمكن القول بأنه يرجع فى تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد. وطبقاً لذلك فالتمثال يدل بوضوح على أن "العلاقات التى كانت قائمة بين بلاد اليونان وحضرموت ترجع إلى مرحلة زمنية تسبق كثيراً نقش النذور الحضرموتىّ الذى عثر عليه فى جزيرة ديلوس ويرجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد."(٢١)

وبينما تبدو هذه المقولة صحيحة، فإنها تعتمد فى صحتها على افتراض لا يمكن التحقق منه، ولا يوجد ما يؤيده من الشواهد الأثرية الأخرى، ومؤداه أن هذا التمثال عرف طريقه إلى المنطقة عقب صناعته مباشرة أو بوقت قصير. وعلى العكس من ذلك، فإنه يجب علينا أن نسمح بمساحة زمنية بين تاريخ صنع التمثال وبين تاريخ وصوله إلى حضرموت، تماماً كما هو الحال مع بعض

نماذج الفخار اليونانىّ التى عثر عليها فى شبه الجزيرة والتى ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد. كذلك فإن العثور على التمثال بعيداً عن أية آثار محلية تساعد على تحديد موقعه الزمنىّ بالمقارنة ببقية الآثار اليونانية أو ذات التأثير اليونانىّ المكتشفة من هذه المرحلة يجعل من الصعب تحديد تاريخ لوصوله إلى حضرموت أكثر من القول بأنه بالضرورة كان فى مرحلة تالية لتاريخ صنعه *post quem* ببعض الوقت.

ومثلما يحيط الشك بتاريخ وصول تمثال المحارب الإسبرطىّ إلى جنوب غرب الجزيرة فإنه يحيط أيضاً بتاريخ بعض التماثيل العربية وتلك التى يحتمل الدارسون أنها تعكس تأثيراً يونانياً فى القرنين السابقين للعصر المتأغرق. وسأكتفى هنا بمثالين للتدليل على أن هذا التأثير يفتقر إلى دليل قوى للتأكيد على وجوده فى فن النحت فى تلك المرحلة. لقد تم العثور فى أثناء الحفريات التى تمت بمنطقة مأرب على تمثال من البرونز يبلغ طوله حوالى المتر، ومثل غيره من التماثيل المشابهة فقد تم صبه على قالب من تراب الفحم المضغوط. ويصور التمثال الذى يتميز بمهارة واضحة فى أسلوب تنفيذه رجلاً يرتدى إزاراً مثبتاً حول وسطه وهو يمد يده اليسرى وقدمه اليسرى إلى الأمام. وعلى ما يبدو فإن اليد اليمنى الممتدة هى الأخرى كانت تمسك فى وقت من الأوقات برمح أو عصا. وقد ثبت خنجر صغير فى حزام الرجل مثلما توجد فروة فهد على ظهره. ويعرفنا النقش الموجود على التمثال بأنه قربان للإله المقه وباسم الشخص الذى أقام التمثال وأنه معد يكرب. وقد أثار هذا النقش المقتضب جدلاً بين الدارسين الذين رأى بعضهم أنه للإله المقه، والبعض الآخر أنه لكاهن، والبعض الثالث

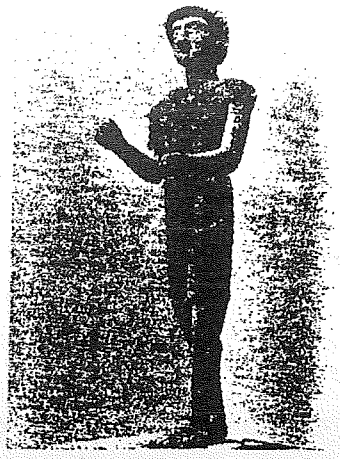

(١) معد يكرب - مأرب.

أنه لمحارب. ومع ذلك فمن المهم أن نلحظ أن اختلافهم حول كنه شخصية صاحب التمثال، يقابله تفاوت آخر حول تاريخ التمثال. فهناك من يعود به إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وهناك من يرى أنه يرجع إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد.(٢٢)

أما المثال الآخر فهو تمثال الملك يصدق الفارع شرحت ابن معد إيل، أحد ملوك أوسان القديمة حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. ويبلغ ارتفاع التمثال حوالى ٧٠ سم وهو من البرونز، ويعد من التماثيل التى تعكس تطوراً واضحاً فى فن النحت العربى فى تلك الآونة. فعلى الرغم من بعض الخشونة الملحوظة فى التنفيذ، يمكن ملاحظة أن ثنايا العباءة الموضوعة على الكتف الأيمن للتمثال لقيت تركيزاً واضحاً من المثال، وكذلك الحال مع ثنيات القميص الذى يرتديه الملك. ويتميز التمثال بتصوير العباءة بشكل طبيعىّ مثلما تنم الرأس، وخاصة الجزء الأسفل منها، عن "تأثير كلاسيكىّ قوى". كذلك فإن أسلوب تصوير اللحية فى هذا التمثال يختلف بشكل واضح عن الأسلوب المعتاد فى التماثيل السابقة. وقد عاد بعض الدارسين بالتمثال إلى النصف الأول من القرن الخامس، على أساس تصوير الثياب بشكل يونانىّ تقليدىّ، بينما أرجعه البعض الآخر إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد على أساس الأسلوب الفنىّ، بل إن البعض الثالث يرى أنه متأخر عن ذلك وأنه يرجع إلى الأعوام الأخيرة قبل الميلاد. هذا على الرغم من أن موقع صاحب التمثال، من الناحية التاريخية، هو منتصف القرن الخامس.(٢٣)

وتعد العملة السبأية التى وصلتنا من جنوب غرب شبه الجزيرة من أهم وأقدم الآثار التى توضح مدى تأثير الفن اليونانىّ فى المنطقة فى المرحلة السابقة للعصر المتأغرق. لقد بدأت هذه العملة بمحاكاة العملة الأثينية المتداولة فى الشمال،(٢٤) والتى سلكت بدورها الطريق التجارىّ بين شمال غرب الجزيرة وجنوبها الغربىّ. وبينما تعد هذه المحاكاة دليلاً على وجود صلات تجارية قوية بين العالم اليونانىّ وبين بعض ممالك شبه الجزيرة فى ذلك الوقت، فإن أهمية هذا الدليل تزداد فى ضوء ما نعلمه عن استمرار هذه

المحاكاة، كما سنرى، بشكل أكثر وضوحاً ودقة فى القرون التالية للإسكندر.

أما إذا انتقلنا إلى الشمال الشرقىّ لشبه الجزيرة فسنجد أيضاً بعض الآثار التى تدل على وصول اليونانيين إلى قلب بلاد الرافدين، منذ القرن السادس قبل الميلاد. لقد عثر فى بابل على نقوش أثرية حجرية تشير إلى وجود بعض الحرفيين الإيونيين الوافدين من ليكيا أو كيليكيا فى آسيا الصغرى، بالإضافة إلى بعض القطع الفخارية الأثينية التى ترجع إلى منتصف القرن ذاته، والتى تذكرنا بالقطع التى سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن آثار جنوب فلسطين وصحراء النقب.(٢٥)

ويتبين من هذا الحديث عن الآثار اليونانية والآثار ذات التأثير اليونانى فى العصر الكلاسيكىّ أنها تكاد تقتصر على بعض قطع الفخار والعملة التى يسهل نقلها من مكان إلى آخر، وأنها لا تشتمل على أية أعمال فى مجالات الفنون الكبرى مثل العمارة والنحت. الأمر الآخر الذى تجب ملاحظته أن ما تم الكشف عنه منها من هذه المرحلة ما يزال قليلاً بوجه عام. ومع ذلك فإنه يمكن القول إن قلة هذه الآثار يمكن تفسيرها فى ضوء أن الاحتكاك المباشر بين العرب واليونانيين آنذاك كان على نطاق، ضيق ويتركز فى منطقة الشمال الغربىّ لشبه الجزيرة؛ الأمر الذى يتأكد أيضاً من المصادر التاريخية اليونانية القديمة. فالعرب الذين يشير إليهم هيرودوتوس فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد هم سكان المنطقة الشمالية الغربية الذين عرفوا فى المصادر التالية له باسم الأنباط.(٢٦) من ناحية أخرى، لا يبدو أن محاولة البحار اليونانىّ الذى يدعى سكولاكس الدوران حول شبه الجزيرة بتشجيع من الفرس لفتت أنظار اليونانيين إلى سواحلها الشرقية، كما حدث على سبيل المثال عندما استعان الملك المصرىّ نخاو ببعض اليونانيين فى بناء أسطول على البحر الأحمر من قبل.(٢٧)

ومع مجىء العصر المتأغرق بدأت شبه الجزيرة العربية مرحلة تاريخية جديدة تتميز بقيامها بدور فاعل ومؤثر فى الصراعات الدائرة بين أكبر مملكتين فى الشرق الأدنى فى ذلك الوقت، وهما الدولتين السليوقية

والبطلمية. فمن ناحية ازداد معدل التعامل التجارى المباشر مع اليونانيين والعالم اليونانىّ، بل ومع المناطق التى فتحها اليونانيون فى أوائل ذلك العصر، ومن ناحية أخرى، كما سبقت الإشارة، لم تتوقف محاولات هاتين المملكتين السيطرة على الطرق التجارية المارة بشرق شبه الجزيرة العربية وغربها. وهكذا فإنه يمكن - فى ضوء هذه المستجدات - تفسير الكم الهائل من الآثار اليونانية (بالمقارنة بالمرحلة السابقة، بطبيعة الحال) الذى لم يعد يقتصر على حدود المنطقة وتعداها إلى مناطقها الداخلية، والذى صحبه انتقال التأثيرات اليونانية إلى الأعمال الفنية والمنشآت المعمارية.

وإذا بدأنا هذه المرة بالمنطقتين الشرقية والشمالية الشرقية، فسنجد أمامنا من الآثار ما يدل على وجود استيطان يونانىّ يمتد من الجزر المواجهة لساحل شبه الجزيرة العربية الشرقىّ إلى بعض المناطق الواقعة إلى الداخل والتى تبعد فى بعض الأحيان ما يقرب من مائة كيلومتراً من ذلك الساحل. لقد كشفت البعثة الدانمركية(٢٨) التى قامت بالتنقيب فى جزيرتى فيلكا (إيكاروس) والبحرين (ديلمون) فى أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات من القرن الماضى عن بعض الآثار التى بينت بجلاء أن هناك تشابهاً واضحاً بين طبيعة الاستيطان اليونانىّ فى كل من الجزيرتين فى العصر المتأغرق. وبحكم موقعهما على الطريق التجارىّ المار بشرق شبه الجزيرة العربية، لعبت كل من فيلكا والبحرين دوراً مهماً فى تجارة العصر المتأغرق، وشكلتا ملجأ آمناً للبحارة والسفن المارة بهذا الطريق. وتتبين أهمية فيلكا - بشكل خاص - من بعض النقوش التى وصلتنا من الجزيرة، والتى ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

لقد أقام أحد اليونانيين نقشاً للآلهة بمجرد وصوله إلى الجزيرة، شكراً على ما يبدو لنجاته هو ورفاقه من بعض الأخطار التى تهددتهم فى أثناء رحلتهم. ويتبين من النقش أن هذا الرجل أثينىّ المواطنة وأنه كان على رأس مجموعة من الجنود، وأنه يدعى سوتيليس Soteles. وقد أهدى الرجل النقش إلى الإله زيوس كبير الآلهة اليونانية بوصفه سوتير (أىّ: المنقذ) *Soter*، وإلى

الإلهة آرتميس إلهة الجزيرة بوصفها أيضاً سوتيرا *Soteira*، وكذلك إلى الإله بوسيدون إله البحر.(٢٩) أما النقش الآخر، الذى يعرف بحجر إيكاروس،(٣٠) فيفوق نقش سوتيليس أهمية، وربما أيضاً شهرة فى الوقت ذاته. ويحتفظ حجر إيكاروس بنص رسالة من الملك السليوقى إلى أهالى الجزيرة، ويتضمن إشارات إلى بناء معبد للإلهة آرتميس، وإقامة ألعاب جنائزية، وتعيين بعض الكهنة، وتنظيم بعض الشعائر والطقوس الدينية. كذلك فإنه يتضمن بعض التوجيهات بشأن معاملة أهالى الجزيرة والعلاقات بينها وبين سكان الساحل. ولأن النقش يمكن تأريخه بحوالى عام ٢٣٩ ق.م، ونظراً لما يتضمنه من إشارة إلى أسلاف الملك الذى كتب النقش فى عهده، فإنه يمكن التأكيد على تبعية الجزيرة إلى الدولة السليوقية منذ أوائل القرن.

وتشتمل الآثار التى خلفها اليونانيون المقيمون فى إيكاروس فى العصر المتأغرق على الكثير من الأدلة التى تؤكد على استقرارهم فيها، وتوضح طبيعة العلاقات بينهم وبين جيرانهم. فبالإضافة إلى المعبدين والقلعة، عثر الدانمركيون على عدد من القطع المعمارية المنحوتة، وكذلك على بعض تماثيل التراكوتا والأوانى الفخارية وبعض العملات اليونانية. وبينما يمكن ملاحظة أن أحد هذين المعبدين دورىّ الطراز، فقد وصفه أحد الدارسين بأنه "بدون شك معبد هللينىّ فى خصائصه المعمارية، تماماً كما هو الحال مع معبد البارثينون"،(٣١) أشهر المعابد اليونانية الدورية فى العصر الكلاسيكىّ على الإطلاق. أما المعبد الآخر، وهو المعبد الأكبر من حيث المساحة، فعلى الطراز الإيونىّ، وقد

(٢) نقش إيكاروس - فيلكا.

وصلنا منه تاج أحد الأعمدة بشكله الحلزونى المميز. من المحتمل كذلك أن تاريخ القلعة يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. ويتميز مبناها بأنه يتبع القواعد اليونانية الخالصة، فهى مربعة الشكل ويوجد فى كل من أركانها الأربعة برج مربع للمراقبة، كما أنها محاطة بخندق لتأمينها.(٣٢)

وتشكل مجموعة العملة السليوقية التى عثر عليها أمام المعبد الدورىّ بفيلكا أحد أهم مجموعات العملة التى كشفت عنها أعمال التنقيب فى شبه الجزيرة العربية فى العصر المتأغرق. وتشتمل هذه المجموعة على ثلاث عشرة قطعة فضية من فئة الأربع دراخمات (*tetradrachma*)، وإحدى هذه العملات تحمل على وجهها صورة الملك السليوقىّ أنتيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م) وصورة الإله أبوللو على الظهر، بينما حملت بقية المجموعة على الوجه صورة البطل اليونانىّ هيراكليس، وعلى الظهر صورة الإله زيوس. ويظهر هيراكليس وهو يرتدى جلد أسد نيميا الذى تمكن من قتله، أما زيوس فيجلس على عرشه ويحمل بيده اليمنى الممدودة أمامه النسر، طائره المقدس، بينما يمسك بيده اليسرى المتجهة إلى الخلف صولجانه المميز.(٣٣) وكما هو معتاد فإن النقش الموجود على عملة أنتيوخوس (*Basilews Antiochou*) يشير إلى اسم الحاكم الذى قام بصك هذه العملة، الأمر الذى يساعد أيضاً على تحديد تاريخ طبقة الآثار التى وجدت فيها.

ومع ذلك فإن الأمر مختلف بالنسبة لبقية العملات التى تحمل علامة الإسكندر الأكبر الذى مرّ على وفاته حينئذ ما يزيد عن القرن. وتتبين طبيعة المشكلة التى تثيرها هذه العملات حينما ندرك أنها تبدو كما لو كانت قد خرجت لساعتها من دار الصك، وأنها تقل من حيث الجودة عن العملات الذهبية والفضية التى صكت فى عهد هذا الملك ذاته. وبينما يمكن تفسير هذه الملاحظة فى ضوء شعبية عملة الإسكندر التى كان يكثر من صكها، والتى أصبحت نموذجاً يحتذى ويعاد صكه فى أرجاء العالم المتأغرق، فإن ذلك التفسير يتطلب تحديد المكان الذى صكت فيه مجموعة عملتنا هذه. ويرجح العالم الذى درس هذه العملة، أوتو مِركهولم، على الرغم من وجود عدد من

دور الصك التى قلدت عملة الإسكندر فى فريجيا وجالاتيا، أن الاحتمال الأكبر أنها صكت فى مدينة جرها التى تقع فى شبه الجزيرة العربية فى مواجهة جزيرة البحرين، والتى كانت من أهم المستوطنات اليونانية فى المنطقة فى العصر المتأغرق.(٣٤) وفى هذه الحالة فإن هذه المجموعة تكتسب أهمية خاصة فى ضوء التنافس التجارى بين جرها والدولة السليوقية، ذلك التنافس الذى دفع أنتيوخوس الثالث إلى مهاجمة المدينة عام ٢٠٥ ق.م لحماية مصالحه التجارية بالمنطقة.

بالإضافة إلى هذه العملات، تم العثور على قطعة عملة ترجع إلى عهد سليوقس الأول مؤسس الأسرة السليوقية، وإلى ما بعد وفاة الإسكندر بوقت قصير، مثلما عثر أيضاً على عملتين أخريين لأنتيوخوس الثالث. وبينما تقع دور صك هذه العملات فى سوسا وسليوقية الواقعة على نهر دجلة، فإنه قد عثر أيضاً على بعض العملات التى يدل ما عليها من نقوش أن مصدرها شبه الجزيرة العربية. وهذه العملات من فئة الأربع دراخمات ومصنوعة من الفضة ولا يمكن تحديد المكان الذى أتت منه بدقة أكبر من ذلك. ومن الطريف أن نلحظ هنا أنها تقلد عملة الإسكندر الأكبر (انظر الوصف المفصل لها فى الصفحات التالية)، وأن عليها نقش قصير باسم ملك يدعى أبياطع Abyatha بالحروف العربية الجنوبية. وعلى ما يبدو فإن هذا الاسم يشير إلى الملك الذى صكت فى عهده هذه العملة والذى يرجح أنه عاش حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد.(٣٥) وبطبيعة الحال فإن وجود هذه العملات مجتمعة بفيلكا يدل على أهمية الجزيرة بوصفها محطة رئيسة فى طرق التجارة العالمية المارة بشبه الجزيرة العربية آنذاك.

ولا تقل أهمية التماثيل اليونانية الصغيرة المصنوعة من التراكوتا (terracotta)، والتى يمثل بعضها إلهة النصر المجنحة نيكى وإلهة الجمال اليونانية أفروديتى، عن أهمية العملة، خاصة إذا ربطنا بينها وبين قوالب صب هذه التماثيل التى عثر عليها فى الجزيرة. وبينما يمكن العودة بهذه التماثيل إلى القرن الثالث قبل الميلاد،(٣٦) فإنه يمكن ملاحظة أنها تعكس السمات

المميزة للفن اليونانىّ فى العصر المتأغرق. وهكذا فبالإضافة إلى ليونة الحركة والأوضاع المرنة اهتم المثال بالثياب وبطياتها، وبجعل هذه الثياب تنسجم مع تضاريس الجسم وطبيعة الحركة بحيث تبدو كما لو كانت شفافة فى بعض المواضع. من ناحية أخرى اهتم المثال بتصفيف الشعر، وبوضع الرأس وجعلها مائلة إلى الجانب، وبتصوير العينين كما لو كانتا تنظران إلى أعلى أو إلى مكان غير محدد، كما يبدو خاصة من التمثال الصغير لرأس الإسكندر الذى عثر عليه بالجزيرة. كذلك فإن وجود قوالب الصب إلى جوار الفرن المخصص لحرقها(٣٧) لا يعنى أن هذه التماثيل مجرد نماذج عرفت طريقها إلى الجزيرة من بلاد اليونان بصورة أو بأخرى. إنها تعنى على العكس من ذلك أن الجزيرة ذاتها كانت تلبى احتياجات اليونانيين المقيمين عليها، بل واحتياجات الذين يتعاملون معها فى المناطق المجاورة لها من اليونانيين ومن غير اليونانيين.

أما إذا انتقلنا إلى الجنوب قليلاً من فيلكا فسنجد أيضاً فى ديلمون (البحرين الحالية) ما يدل على وجود

(٣) إلهة النصر - فيلكا.

(٤) إلهة الجمال - فيلكا.

استيطان يونانىّ قوى وعلى علاقات قوية مع الدولة السليوقية تشبه ما كان قائماً بين فيلكا وبين الأخيرة. وقد عثر فى البحرين على عدد كبير من العملات التى يمكن تحديد مصدرها بدور الصك السليوقية الملكية فى سوسا وسليوقية. وتحمل هذه العملات صور الملوك السليوقيين من سليوقس الأول حتى أنتيوخوس الرابع، أىّ أنها تغطى تقريباً المرحلة الزمنية من بداية القرن الثالث وحتى نهاية الثانى قبل الميلاد.(٣٨)

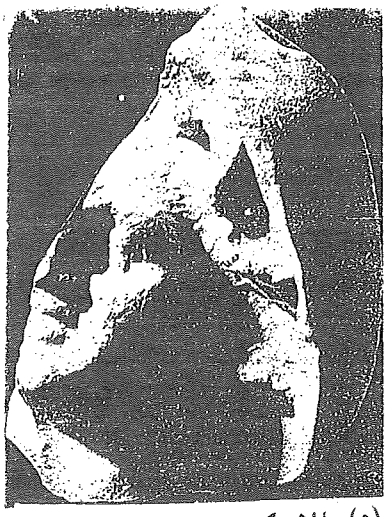

(٥) الإسكندر الأكبر - فيلكا.

وإلى جوار هذه العملات عثر أيضاً على عدد لا بأس به (٧٧ قطعة من بين مجموعة عددها يقترب من ٣٠٠) من عملة أبياطع(٣٩) التى عثر عليها فى فيلكا. كذلك فقد كشفت أعمال التنقيب عن عدد من تماثيل التراكوتا الصغيرة التى تلقى الضوء على طبيعة التأثيرات الفنية المتأغرقة التى تعرضت لها المنطقة،(٤٠) والتى تذكرنا بتماثيل فيلكا التى سبقت الإشارة إليها.

وقد كشفت أعمال التنقيب أيضاً عن بعض قطع فخار العصر المتأغرق الذى انتشر فى المنطقة والذى يمكن ملاحظة أوجه الشبه بينه وبين فخار فيلكا من ناحية، وبينه وبين فخار مدينة ثاج داخل جزيرة العرب ذاتها، من ناحية أخرى.(٤١) بالإضافة إلى ذلك فقد استمرت قطع الأوانى الأثينية بأساليبها الفنية الجديدة فى تلبية رغبات اليونانيين المقيمين فى المهجر فى العصر المتأغرق، ومن نهجوا نهجهم من سكان منطقة الخليج، فى الحصول على بعض الأوانى المتميزة، كما تدل على ذلك قطع الفخار الأثينىّ التى عثر عليها فى البحرين وفى المناطق المشار إليها. وتجدر الإشارة كذلك إلى أيدى الأوانى الروديسية التى تحمل أختام الجزيرة والتى تبين أنها كانت تستخدم لنقل بعض المنتجات اليونانية من خمر وزيت زيتون وغيرها إلى

المنطقة. ربما أنه لا يمكن فى بعض الأحيان الوصول إلى تفسيرات يقينية ومفصلة بالنسبة لحجم التعاملات التجارية على أساس هذه المعثورات، إلا أن دلالاتها الحضارية تظل واضحة فيما يتعلق بالتأثيرات الفنية التى شهدتها المنطقة فى المرحلة التى تلت حملات الإسكندر.(٤٢)

لقد سبقت الإشارة إلى مدينتى ثاج وجرها بوصفهما من المدن الأثرية المهمة فى شرق شبه الجزيرة العربية. وبينما تدل المصادر الأدبية على أهمية الدور التجارى الذى لعبه سكانهما فى العصر المتأغرق، فإن ما تبقى من آثار مدينة ثاج، وما يوجد من بقايا فى المواقع المحتملة للمدينة الأخرى،(٤٣) يؤكد ما تشير إليه هذه المصادر. وتقع ثاج على مسافة حوالى ٨٠ كيلومتراً غرب الجبيل الحالية، ومن أهم ما يستلفت الانتباه فى آثار المدينة السور المربع الذى كان يحيط بها فى العصور القديمة والذى يرجع تاريخه إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد. لقد بنى هذا السور، الذى يبلغ طوله حوالى ٢٥٠٠ متراً ويصل عرضه إلى حوالى أربعة أمتار ونصف، على أساس قوى من الحجارة. وزيادة فى التحصينات زود هذا السور بعدد من الأبراج الدفاعية المربعة الشكل والتى تبرز عنه فى بعض الأحيان حوالى ستة أمتار ونصف، والتى تخللتها بالإضافة إلى ذلك بعض الأبراج الأصغر حجماً. ويدل أسلوب بناء السور على أن المهندسين العسكريين الذين أشرفوا عليه طبقوا، كما سنوضح فيما بعد، أحدث ما كان معروفاً لديهم من نظريات دفاعية،(٤٤) مثلما يدل الاهتمام بالتحصينات الدفاعية - فى الأساس - على حالة عدم الاستقرار التى كانت تسود المنطقة وقت تأسيس المدينة وحرصها على تأمين مصالحها الاقتصادية.

هناك أيضاً عدد من المعثورات المنقولة التى تبين مدى ازدهار المدينة وعلاقاتها التجارية فى العصر المتأغرق. ومن بين هذه الآثار توجد قطعتان من "النقود المعدنية الهامة" من فئة الأربع دراخمات، إحدى هاتين العملتين تحمل على وجهها صورة هيراكليس، بينما تحمل على الظهر صورة زيوس وهو جالس على عرشه. وتنسب هذه العملة، التى تحمل حرف الألف بالخط

العربىّ على يسار زيوس وحرف الباء على يمينه، إلى أحد الحكام الجنوبيين الذى يعرف باسم أبياطع. وقد وجدت نماذج من هذه العملة فى مناطق عديدة منها جزيرة فيلكا والبحرين وجورديون وفريجيا، ووسط آثار يتراوح تاريخها بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثانى قبل الميلاد.(٤٥) أما العملة الأخرى فتشبه العملة السابقة مع بعض الاختلافات البسيطة. فمن ناحية تتجه صورة هيراكليس على وجه العملة إلى اليسار بدلاً من اليمين وتحيط بها دائرة من النقاط، ومن ناحية أخرى يبدو زيوس وهو جالس على العرش كما لو كان واضعاً إحدى قدميه على الأخرى. إلا أن الاختلاف الجوهرى بينها وبين العملة السابقة يتمثل فى أن الملك الذى قام بصكها يمكن قراءة اسمه على أنه أب إيل. وقد عثر على نماذج من هذه العملة فى سوسه وفى البحرين، ووسط آثار يتراوح تاريخها بحوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد.(٤٦)

وبينما تعكس عملة شرق الجزيرة التى تقلد عملة الإسكندر تأثيراً يونانياً واضحاً فمن المهم ملاحظة أنه يفد فى هذه الحالة من الجهة الشمالية الشرقية. وكانت هذه العملة الأخيرة تصنع من الفضة ومن الذهب فى آن واحد، واكتسبت شعبية كبيرة فى أعقاب فتوحات هذا القائد وطوال القرون الأخيرة قبل الميلاد.(٤٧) ومما ساعد على انتشارها من ناحية حرص هذا القائد على إصدار نسخ عديدة منها، ومن ناحية أخرى إقامة دور عديدة لصك العملة فى الشرق الأدنى، ومنها دور صك سوسه وسليوقية على نهر دجلة، وربما أيضاً فى جرها فى شمال شرق الجزيرة. وقد حرصت دور الصك هذه على إعادة إصدار هذه العملات، بما تحمله من صور ورموز مميزة، على الأقل فى النصف الأول من العصر المتأغرق. ولم تكن منطقة الجزيرة - كما نرى - بما لها من نشاط تجارى واسع النطاق بعيدة عن هذه التطورات فى مجال العملة. وهكذا فإننا نجد أيضاً عملات عربية تقلد عملات الإسكندر بنفس الكيفية التى قلدت بها عملة الإسكندرية البطلمية فى الجنوب، الأمر الذى يوضح أيضاً أن العلاقات التجارية بين منطقة شرق الجزيرة وبين الدولة السليوقية كانت لا تقل أهمية عن علاقات المنطقة الجنوبية الغربية مع منافسيهم الغربيين.

كذلك فإنه يمكن القول على أساس العملة الأخيرة أن الفنان العربىّ الذى بدأ بتقليد العملات اليونانية الوافدة عليه، اتجه بعد ذلك إلى تعديل تلك العملات بالشكل الذى يتلاءم مع شخصيته. وتمثل ذلك فى البداية فى وضع الحروف العربية الأولى لأسماء حكامه الوطنيين فى المنطقة على العملة المقلدة، ثم اتجه بعد ذلك إلى التعامل بحرية مع الصور الموجودة عليها. فلما يمر وقت قصير على تقليده للعملة حتى اتجه إلى تغيير اتجاه الصور الموجودة عليها، وإلى تعديل بعض مقوماتها خاصة فى صورة زيوس الذى بدا يظهر ممسكاً برموز مختلفة، وفى وضع مختلف.

وبالإضافة إلى العملة فقد عثر أيضاً على بعض قطع الأوانى الفخارية من النوع السائد فى العصر المتأغرق وتشتمل هذه القطع على بعض الأوانى التى وفدت من بلاد اليونان، وعلى بعض النماذج التى تقلدها والتى "قد تكون من صنع محلىّ."(٤٨) بعض طرز هذه الأوانى يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد فى بلاد اليونان، وربما أنها وصلت إلى المنطقة مع أوائل القرن الثالث. كذلك فقد كشفت أعمال التنقيب أيضاً عن عدد من تماثيل التراكوتا ذات الأشكال الحيوانية والآدمية، والتى ربما يمثل بعضها آلهة محلية كان يتعبد لها سكان المنطقة.(٤٩)

وتزودنا آثار ثاج بالإضافة إلى الكتابات التاريخية المعاصرة بفكرة عما كانت عليه مدينة جرها فى العصر المتأغرق، وهى التى كانت تفوق ثاج أهمية. فمحاولة تحديد موقع مدينة جرها الأثرية ما تزال "مشكلة محيرة،" على الرغم من المسوحات الأثرية العديدة التى جرت مؤخراً فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.(٥٠) ويحدثنا استرابون عن السبئيين وعن سكان جرها واصفاً إياهم بأنهم "كانوا من أغنى الولايات جميعاً، وكانت لديهم معدات وأدوات كثيرة من الذهب والفضة، مثل الأسرة والحوامل ثلاثية الأرجل والأوعية، فضلاً عن أوانى الشراب، والمنازل الفخمة المطعمة أبوابها وأسقفها بالعاج والذهب والفضة."(٥١) وعلى فرض أن هذه المقولة تنطوى على قدر من المبالغة وأنها تعمم نوعاً ما بالنسبة لسكان جرها ما كان معروفاً

بدرجة أكبر عن سكان سبأ، فإن ما يذكره بوليبوس عن هدايا سكان المدينة فى محاولة منهم لاسترضاء الملك السليوقىّ عندما فكر فى إخضاعهم يبين غنى المدينة وازدهارها. "لقد رجا الجرهائيون الملك ألا يحرمهم النعم التى أنعم الله عليهم بها، وهى السلام والحرية الدائمان .... ولما حصلوا على حريتهم استصدر الجرهائيون مرسوماً بتكريم أنطيوخوس، وذلك بإهدائه خمسمائة قطعة من الفضة، ومائة قطعة من اللبان، ومائتا قطعة مما يسمونه عبق البخور."(٥٢) وبينما تذكرنا الإشارة إلى القطع الفضية بأن جرها كانت تضم داراً لصك العملة، فإن المدينة، التى كانت تشبه ثاج من حيث وقوعها إلى الداخل، كانت على - ما يبدو - تسيطر بدورها على بعض المدن والمراكز التجارية المجاورة لها والواقعة على الطريق بينها وبين بلاد الرافدين حيث كانت تمر غالبية تجارتها لتصل فى نهاية المطاف إلى البحر المتوسط.

ويتبين من هذه المناقشة للآثار اليونانية التى عثر عليها بمنطقة شرق شبه الجزيرة العربية وشمالها الشرقىّ فى العصر المتأغرق كثافة الاستيطان اليونانىّ للمنطقة. وبطبيعة الحال فقد أصبحت هذه المستوطنات - سواء فى الجزر أو فى المناطق الداخلية القريبة من الساحل - بمرور الوقت بمثابة مراكز إشعاع للتأثيرات الفنية اليونانية التى انعكست منها على المناطق الداخلية. وتوضح الآثار التى عثر عليها فى مدينة الفاو الواقعة فى قلب الجزيرة على الطريق الممتد بين شمالها الشرقىّ وجنوبها الغربىّ قوة هذه التأثيرات فى العصر المتأغرق. إن هذه الآثار لا تثبت فقط أن الأعمال الفنية اليونانية عرفت طريقها إلى المنطقة فى تلك الآونة، بل وتبين أيضاً مدى تأثر الفنان العربى بمدينة الفاو بهذه الأعمال.

لقد كشفت أعمال التنقيب التى تمت بالمدينة فى الربع الأخير من القرن الماضى عن كم هائل ومتنوع من الآثار الثابتة والمنقولة التى توضح مدى ازدهار المدينة فى العصر المتأغرق (وفى واقع الأمر فى المرحلة التالية له أيضاً). ويتبين من التقرير المبدئىّ(٥٣) الذى يعرف باكتشافات المواسم الأولى لهذه التنقيبات أن المدينة كانت عرضة لتأثيرات حضارية عديدة بحكم موقعها،

ومن أهمها التأثيرات اليونانية. وقد وصلتها هذه التأثيرات عبر طرفى الطريق التجارىّ الذى تقع المدينة فى منتصفه: فمن ناحية كانت هناك المستوطنات اليونانية التى سبقت الإشارة إليها فى منطقة الخليج العربىّ والساحل الشرقى لشبه الجزيرة، ومن ناحية أخرى كانت هناك التيارات الوافدة عبر نجران والمنطقة الشمالية الغربية. وعلى الرغم من أن ما نشر عن حفائر الفاو لا يعدو أن يكون تقريراً مبدئياً وأن النتائج النهائية لأعمال التنقيب ستخصص لها عشرة مجلدات تناقش كافة أنواع الآثار المكتشفة، فإن هناك بعض الملاحظات التى يمكن أن نسوقها عن بعض القطع الأثرية التى وردت بهذا التقرير المبدئىّ. وتتركز هذه الملاحظات بشكل أساسىّ، فيما يتعلق بموضوعنا، حول بعض التماثيل البرونزية التى يتضمنها التقرير.

إن مجموعة الأعمال النحتية تشتمل على بعض التماثيل المستديرة المصنوعة من البرونز والصلصال والخزف والحجر، بالإضافة إلى بعض الأفاريز المنحوتة. ومن حيث الحجم فإن التماثيل المستديرة تتسم بكونها صغيرة الحجم إلى حد الدقة فى بعض الأحيان statuettes، وأنها تشتمل على تماثيل لرجال ونساء وأطفال (يحتمل أن بعضها يشير إلى آلهة)، بالإضافة إلى بعض التماثيل الحيوانية. وكما يشير التقرير فإنه "تظهر فى بعض هذه التماثيل أو أجزائها تأثيرات خارجية." ومع أن "فنان قرية ونحاتها قد استطاع أن يمزج بين هذه التأثيرات وذوقه الخاص ... فأخرج لنا بذلك تحفاً رائعة،" فإنه فى الوقت ذاته ليس ببعيد "أن تكون قلة من هذه القطع قد وردت على قرية الفاو" من بعض المناطق اليونانية.(٥٤)

إن هذا التعليق - بطبيعة الحال - يفرض علينا أن نميز بين الأعمال النحتية اليونانية الوافدة على الفاو وبين الأعمال المحلية، مثلما يحتم أيضاً أن نحدد مدى تأثر فنان المدينة بالأعمال اليونانية التى وصلت إليه. ولكى يتم ذلك لا بد - بداية - أن نوجه اهتمامنا إلى موضوعات هذه التماثيل، وإلى المواد التى صنعت منها، بالإضافة إلى الأسلوب الذى نفذت به. ولحسن الحظ فإن مجموعة التماثيل البرونزية المستديرة تحتوى على نماذج

يمكن مقارنتها ببعضها البعض فى ضوء النقاط التى سبقت الإشارة إليها.

وإذا بدأنا بمجموعة التماثيل البرونزية فسنجد أنها تشتمل على تمثالين لناقتين وآخر لجمل، وعلى تمثال لوعل وتمثال آخر لحيوان غريب الشكل، بالإضافة إلى تمثال لدولفين. وإذا استثنينا تمثال الحيوان الذى لا يمكن تحديد هويته، فسيتبين أن المجموعة تضم فى ناحية الجمل والوعل وهما من الحيوانات المألوفة فى المنطقة، وفى ناحية أخرى الدولفين الذى يعتبر غريباً عنهما بوصفه حيواناً بحرياً. ويشتهر الدولفين فى المعتقدات اليونانية بأنه صديق للبحارة وبأنه من الرموز المقدسة لبعض الآلهة اليونانية. وانتقل الدولفين بصفته الحارس والمنقذ للمسافرين بالبحر وبما له من أهمية فى المعتقدات الدينية إلى الأنباط الذين أقاموا معابداً لتكريمه، وبجّلوه بوصفه "الحامى من المخاطر والواقى من المخاوف وسط الصحراء وفى عباب البحر." وفى الوقت ذاته يمكن ملاحظة أن ازدهار الأنباط كان معاصراً للقرون الأولى لعصر "قرية" الفاو.(٥٥)

(٦) دولفين - الفاو.

وهكذا فإن الدولفين من حيث الموضوع يمثل عقيدة أو فكرة وافدة على المنطقة، ويمكن تتبع أصولها والمكان الذى وفدت منه. وبمقارنة السمات الفنية لأسلوب هذا التمثال وخصائص تماثيل الحيوانات الأخرى يتأكد هنا أيضاً أن هذه القطعة بيد فنان يونانىّ، وأنها عرفت طريقها إلى المنطقة فى أواخر القرن الثالث أو الثانى قبل الميلاد. فالتمثال يتميز بتناسق واضح بين أجزائه وبإظهار الخصائص الطبيعية للحيوان والاهتمام بأدق التفاصيل مثل إبراز العين الضيقة للحيوان وكذلك فتحة الأنف الواسعة نسبياً. كذلك فقد اهتم الفنان بتصوير الدولفين وهو يقوم بحركة انسيابية جميلة تتميز بالخفة

وتتلاءم فيها أجزاؤه مع طبيعة الوضع الذى اتخذه فى أثناء هذه الحركة (كما يبدو خاصة من وضع الزعانف وبداية الذيل.

من ناحية أخرى فإن تماثيل الجمل والوعل تنم عن محاولة من الفنان الذى قام بتنفيذها لتطبيق بعض خصائص الأسلوب الفنى للدولفين، ومن المهم أن نلحظ أن هذه المحاولة ناجحة فى بعض الأحيان. فتماثيل الناقتين والجمل تنم عن قدر واضح من التناسق بين أجزاء الجسم المختلفة، على الرغم من أن هذا التناسق غير موجود مثلاً بين أجزاء الأرجل الأمامية. كذلك فقد اهتم الفنان بإبراز الخصائص الطبيعية للحيوان وإن لم يبذل جهداً كبيراً فى الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة فى الوجه والأطراف. ومن ناحية الحركة فقد نجح الفنان فى تصويرها بدقة واضحة فى حالة الجمل المشرئب بعنقه، وإن كان النجاح بدرجة أقل فى حالة الوعل الذى صور جسمه فى وضع جانبى ورأسه فى وضع أمامى.

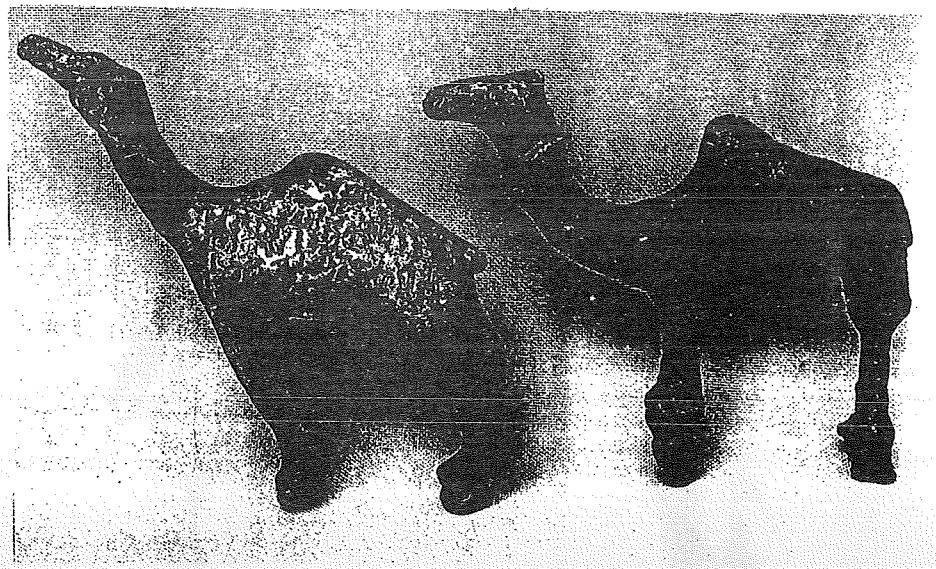

(٧) ناقة وجمل - الفاو.

وتبين المقارنة بين مجموعة التماثيل البرونزية الآدمية أن التفاوت بين القطع المحلية والقطع الوافدة أكثر وضوحاً مما هو الحال مع التماثيل الحيوانية.(٥٦) وتشتمل هذه المجموعة على أربعة تماثيل صغيرة الحجم لطفل ورجل وسيدتين، وكذلك على تمثالين نصفيين لرجل وسيدة، بالإضافة إلى بعض أطراف التماثيل من أذرع وأقدام وأصابع وغيرها. وبالنظر إلى الأسلوب الفنى لهذه القطع يمكن القول بأن تمثال الطفل وأطراف التماثيل قام بصناعتها فنان مختلف عن الفنان الذى خرجت من تحت يده بقية الأعمال المشار إليها. ويبدو الفارق واضحاً على أساس مدى التناسق فى نسب أجزاء الجسم، ومدى الاهتمام بالتفاصيل، والقدرة على تصوير الملامح الطبيعية، وكذلك تصوير الحركة بشكل طبيعى ويتلاءم مع وضع الجسم. ربما لا يمكننا أن نحدد طبيعة التماثيل التى تنتمى إليها الأذرع والأرجل التى وصلتنا، ولكن تمثال الطفل يفصح عن نفسه من خلال التاج المزدوج الذى يرتديه، وقرن الخيرات الموجود فى يده اليسرى، والجناحين المفرودين الموجودين على ظهره. كذلك فإن إصبع إبهام يده اليمنى الذى يمده باتجاه فمه يقطع بأنه

(٨) حربوقراط - الفاو.

حورس الذى عرفه اليونانيون باسم هاربوكراتيس (أىّ: حربوقراط). ومثلما هو الحال مع الدولفين فإن هذا التمثال وافد على المنطقة، تماماً مثل الأسلوب الفنى الذى صور به.

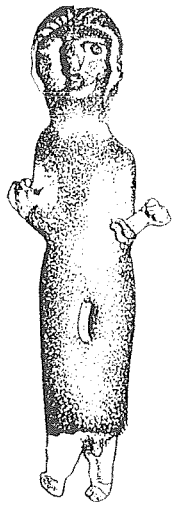

إن بقية التماثيل البرونزية الآدمية التى قام بصناعتها فنان الفاو تفتقر إلى ما يحدد هويتها بالكيفية التى تفصح عنها فى حالة حربوقراط. ربما أنها يغلب عليها الطابع الدينى، كما يبدو بالتأكيد من تمثال الرجل الجالس على عقبيه وهو يضع يديه على ركبتيه، ومن تمثال السيدة التى تمد يدها اليمنى كما لو كانت تبارك الناظر إليها. ومع ذلك فإن هذه التماثيل تبين مدى التأثر بالأساليب الفنية اليونانية التى يعبر عنها تمثال حربوقراط وغيره من التماثيل التى وصلتنا أجزاء منها. فتمثال السيدة ذات القدم (٩) إلهة أو سيدة - الفاو. القصيرة التى "لم ينقش وجهها بوضوح ولها يدان قصيرتان" يوحى بحركة هى أقرب إلى السكون.(٥٧) وتزداد الحركة وضوحاً فى التمثال النصفى للسيدة التى ترفع يدها اليمنى حيث انفصلت اليدان بكاملهما عن الجسد، وتبدو اليد اليسرى كما لو كانت تمسك بشئ لم يعد له أثر الآن. كذلك فقد ازداد

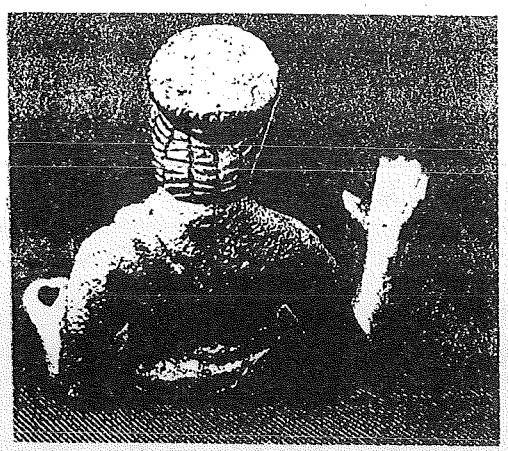

(١٠) إلهة أو سيدة - الفاو.

الاهتمام بإبراز ملامح الوجه، وإن كانت ما تزال غير دقيقة، كما أن محاولة الفنان تصوير الشعر والغطاء الذى يعلوه ناجحة إلى حد كبير، وإن كان نجاحه فى تصوير ثنايا العباءة المنسدلة على الكتف الأيسر يبدو محدوداً.

وبطبيعة الحال فإن هذه التماثيل التى تصور مدى تأثر فنان الفاو بالأعمال اليونانية التى وصلته هى جزء من كل. ويشتمل هذا الكل بالضرورة على عدد كبير من المعثورات الأخرى التى يظهر فيها هذا التأثر بدرجات متفاوتة، والتى تشتمل على تماثيل حجرية وصلصالية وعلى أدوات معدنية وأوانى فخارية. ومثلما أن التقييم الحقيقى لحجم التأثير اليونانىّ على فنان الفاو يجب أن يأخذ فى اعتباره كافة هذه القطع الأثرية، لا بد فى الوقت ذاته أن ينظر بعين الاعتبار إلى الآثار التى عثر عليها فى المواسم اللاحقة لعام صدور التقرير.(٥٨)

وإذا ما انتقلنا عبر الطريق المتجه إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية فسنجد أمامنا مدينة نجران التى تعد واحدة من أهم المحطات التجارية فى المنطقة. وتقع نجران عند مفترق طرق؛ إذ يتفرع عندها الطريق المتجه شمالاً من جنوب غرب الجزيرة ليفضى فى نهاية أحد فرعيه إلى شمالها الشرقىّ ماراً بالفاو، وفى نهاية فرعه الآخر المار بالحجاز إلى شمالها الغربى. وقد نالت نجران شهرة كبيرة فى مرحلة ما قبل الإسلام بسبب انتشار المسيحية فيها وبسبب الكنيسة التى أقيمت بها، والمعروفة بكعبة نجران. ومع ذلك فإن تاريخ المدينة مغرق فى القدم، مثلما أن الآثار التى توجد بها تنم عن ازدهار كبير فى العصر المتأغرق.

لقد وجدت بعض القطع الأثرية التى تدل - فيما يتعلق بموضوعنا - على وصول الأعمال اليونانية إلى المدينة، وعلى مدى تأثرها بالتيارات الفنية اليونانية. ففى المسح الأثرىّ والتنقيبات التى جرت بموقع نجران القديمة فى عام ١٩٨٢، عثر المنقبون على كميات هائلة من القطع الفخارية التى ضمت قطعتين وافدتين إلى المنطقة. وقد وصفت هاتان القطعتان بأنهما "فى غاية الأهمية لأجل عملية التأريخ."(٥٩) إحدى القطعتين هى من إناء أتيكىّ الصنع،

وكما يتبين منها فإن الإناء كان مستوردا من بلاد اليونان. وتتضح أهمية التأكيد على أن القطعة أجنبية الصنع من الإشارات التى يوردها المنقبون بعد ذلك إلى قطع الفخار التى عثر عليها بالمنطقة، والتى يصفونها بأنها تنتمى إلى أوانى أتيكية "مقلدة." وبينما ترجع هذه الأوانى المقلدة إلى ما بين القرنين الرابع والثانى قبل الميلاد، فمن الجدير ملاحظته أن تقليد هذه الأوانى لم يقتصر على نجران وحدها، بل كان معروفاً أيضاً فى المنطقتين الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية، وأنه كان متأخراً نوعاً ما بالمقارنة بتاريخ ظهور طرز الأوانى ذاتها فى بلاد اليونان.(٦٠)

أما القطعة الأخرى التى عُثر عليها فيربط المنقبون بينها وبين نوع آخر من الفخار يعرف بالفخار المطلى أو ذى الطبقة اللامعة (Glazed Pottery)، ويلحظون هنا أن المناقشات السابقة حول قطع الفخار القليلة المشابهة لهذا النوع والتى عثر عليها فى بعض أرجاء الجزيرة ترجع بها إلى أواخر القرن الأخير قبل الميلاد. ومع ذلك، وبالمقارنة بقطع الأوانى المطلية ذات اللون الأخضر الفاتح التى عثر عليها مؤخراً فى مناطق تيماء ووادى الدواسر والفاو وزبيده وتاروت والظهران وغيرها، فإنهم يرجعان بهذه القطعة إلى مرحلة سابقة من العصر المتأغرق(٦١) كذلك فقد تم العثور على بعض التماثيل النسائية

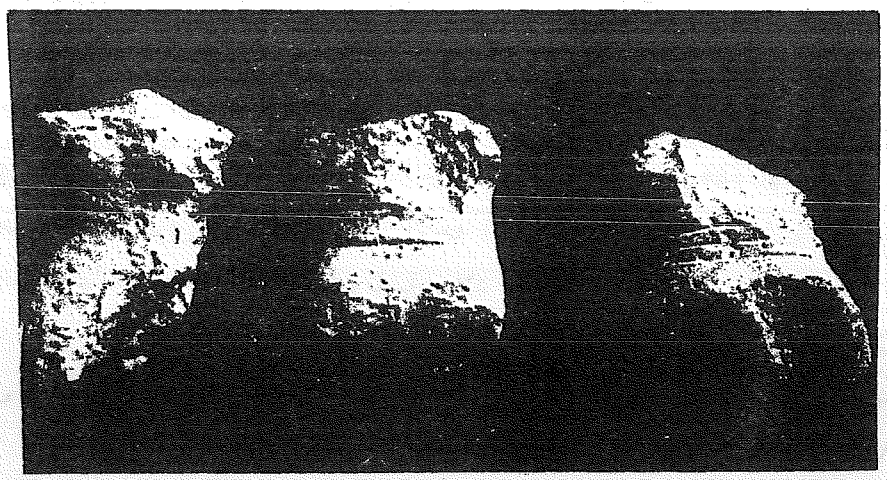

(١١) تماثيل صغيرة - نجران.

الصلصالية الصغيرة (التى ربما يمثل بعضها إلهة الجمال اليونانية أفروديتى) فى المنطقة المركزية التى تحيط بها الأسوار. وعلى الرغم من أن أطراف هذه التماثيل قد تكسرت إلا أن بمقدورنا أن نلحظ أنها إما تماثيل يونانية أو أن الفنان قد نجح نجاحاً كبيراً فى تصوير الحركة وتضاريس الجسم بشكل طبيعىّ.(٦٢) ويتبين من دراسة هذه الآثار وقطع الفخار الأخرى التى عثر عليها بالمنطقة أنها كانت مأهولة بالسكان فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد، فى الوقت الذى بنيت فيه أسوار المدينة التى ما تزال قائمة إلى ارتفاع لا بأس به حتى وقتنا هذا.

وتتميز نجران بأسوارها التى كانت تحيط فى العصور القديمة بما يزيد عن ثلاثين مبنى من أهم مبانيها. وهذه الأسوار على شكل مربع غير منتظم الشكل تماماً ويبلغ طول ضلعه حوالى ٢٣٥ متراً، وتتشابه بدورها من حيث التخطيط وأسلوب البناء مع الأسوار التى أقيمت حول عدد كبير من مدن شبه الجزيرة العربية فى العصر المتأغرق.(٦٣) فهنا أيضاً تبدو المدينة مربعة الشكل، وتحتوى الأسوار على نتوءات بارزة تشبه ما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن أسوار ثاج وعن قلعة فيلكا. وكما هو معروف فإن اهتمام سكان مدينة ما بتحصين مدينتهم وبدفاعاتها وببناء سور حولها يمكن أن يعد دليلاً، فى حد ذاته، على عدم استقرار الأوضاع بمنطقتهم.(٦٤) ولهذا فإنه يمكن القول بأن متغيرات السياسة الدولية فى العصر المتأغرق، وما أعقب وفاة الإسكندر من صراعات بين حكام المملكتين السليوقية والبطلمية، تركت بصماتها على كافة أرجاء شبه الجزيرة التى لم تكن بمعزل عن هذه الأحداث.

من ناحية أخرى لا يمكن إغفال أوجه الشبه بين أسوار مدن شبه الجزيرة وبين نظيراتها فى بعض المدن اليونانية ببلاد اليونان ذاتها. إن التشابه هنا لا يقتصر على أسلوب صقل الأحجار أو على أسلوب صفها إلى جوار بعضها البعض (المعروف بنظام آشلر Ashlar)، أو على زخرفة جوانب قطعة الحجر بحيث تتلاقى مع بعضها فى خطوط منتظمة (والمعروفة بنظام Anathyrosis) ويمتد إلى أسلوب تخطيط الأسوار ذاتها. إن أسوار نجران، مثلها مثل

الأسوار المقامة فى تلك الآونة داخل شبه الجزيرة العربية كانت تعكس، فيما يتعلق بأسلوب بنائها، ما يحدث فى بقية أرجاء العالم المتأغرق من تجديدات وتطوير فى هذا المجال. لقد تسبب التقدم فى وسائل الحصار وسبل اقتحام المدن، التى لعب الإسكندر دوراً كبيراً فى تطويرها وساعدته على اقتحام كافة المدن الحصينة التى قابلها فى طريقه مثل صور وغزة، فى حتمية إعادة النظر فى الأساليب القديمة والمتوارثة لبناء الأسوار لتواكب بدورها التطوير فى المعدات العسكرية من منجنيق التوائى وأبراج حصار.(٦٥) وهكذا أصبحت الأسوار أكثر قوة وصلابة، وتم تزويدها بأبراج ذات نوافذ على مستويات عدة، مثلما زودت بنتوءات بارزة ذات زوايا قائمة أو دائرية الشكل، الأمر الذى أدى إلى اختفاء الجوانب الكاملة الاستقامة المعروفة فى الماضى، وأتاح لها أن تقوم بدورها المنتظر فى حماية مدنها.

ونقترب بهذا الحديث عن نجران من جنوب غرب شبه الجزيرة الذى شهد أقدم الدول والممالك العربية ودخلت بالمنطقة العصور التاريخية قرب نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. ونظراً لأن التجارة كانت النشاط الرئيس الذى مارسه سكان هذه المنطقة وبرعوا فيه بشكل خاص، فلا عجب أن شبههم المؤرخون بالفينيقيين، ووصفوهم بأنهم "فينيقيو البحر الجنوبى."[٦٦] ومع التجارة انتقلت التأثيرات اليونانية منذ منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد إلى المنطقة. حقيقة إن هذه التأثيرات كانت محدودة فى المرحلة التى تسبق العصر المتأغرق، كما رأينا فى بقية أرجاء الجزيرة، ولكن علينا أن نتذكر هنا أنها وصلت فى الأعم الأغلب بطريق غير مباشر عبر سوريا ومصر.

لقد سبقت الإشارة إلى تمثال المحارب الإسبرطى الذى يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، والذى عثر عليه فى حضرموت. وعلى الرغم من أن وجود هذا التماثل (بمفرده كما هو الحال حتى الآن) لا يعنى أن غيره من الأعمال الفنية اليونانية المشابهة والمعاصرة له عرفت طريقها إلى المنطقة، فلا شك فى أن هناك من الآثار ما كان يسهل نقله وانتقاله فى المرحلة القريبة التالية، كما هو الحال مع العملة والفخار. وقد بدأت العملة السبئية بالفعل

بتقليد العملة الأثينية، وربما كان ذلك منذ أواخر القرن الخامس وبدايات القرن الرابع قبل الميلاد. حقيقة إنه لم يتم العثور على أية عملات يونانية ترجع إلى هذا التاريخ فى المنطقة الجنوبية وهو الأمر الذى يمكن تعميمه نوعاً ما وبدرجات متفاوتة على منطقة الشرق الأدنى ككل،(٦٦) ولكن وصول هذه العملات إلى الشام وفلسطين فى تلك الآونة، ووجود قطعة العملة الأثينية التى سبقت الإشارة إليها فى تيماء، يؤكدان أنها كانت معروفة بدون شك فى الآونة ذاتها فى جنوب غرب الجزيرة.

وترجع أول نماذج العملة السبئية التى تقلد الأثينية والتى وصلتنا من العصر المتأغرق إلى بدايات هذا العصر. ومن الملاحظ أن التقليد لم يقتصر على الصورة الموجودة على وجه العملة، بل تعداه أيضاً إلى الظهر. وتظهر صورة الإلهة أثينا فى وضع جانبىّ وهى تتجه بنظرها إلى اليسار على وجه العملة، بينما صورت البومة (رمز الإلهة أثينا) على الظهر وهى فى وضع جانبىّ وبحيث يبدو وجهها فى وضع أمامىّ. وقد بلغ التقليد السبئى درجة عالية من الإتقان إلى حد "إظهار القرط متدلياً من أذن الإلهة، وإلى إبراز أوراق الزيتون فوق الشريط أو العصابة التى يتحلى بها شعرها."(٦٧) ويدلنا ذلك بطبيعة الحال على خبرة الفنان العربىّ وبراعته اللتان تتضحان أيضاً فى تصويره لعين الإلهة بشكل صحيح، وفى تمثيله لتموجات الشعر أعلى الوجنة وعلى جانب الوجه بشكل طبيعىّ. وبالإضافة إلى هذه البراعة فى المحاكاة يمكن

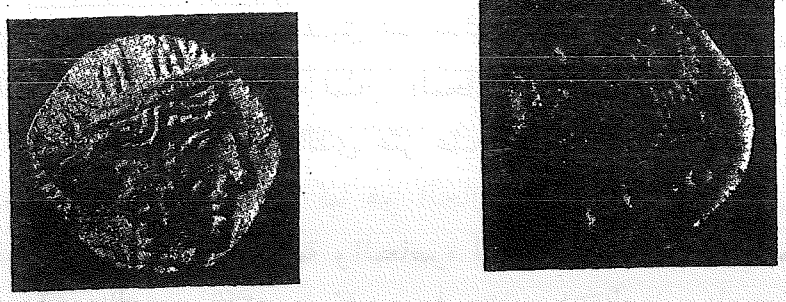

(١٢) عملة حميرية - سبأ.

يمكن أن نضيف أيضاً الشخصية المميزة لصانع العملة. ويتبين ذلك من حرف "النون" الذى كتب بالخط السبئى على خد الإلهة، مثلما تتبين شخصيته أيضاً من التقابل الواضح بين الخطوط التى تحيط بوجه البومة وبين النقاط التى تحدد جسمها، على ظهر العملة.

وبالإضافة إلى هذا التأثير اليونانىّ الوافد من الشمال الغربىّ لشبه الجزيرة، والذى يمكن العودة به إلى بلاد اليونان ذاتها، هناك تأثير آخر مشابه فى العصر المتأغرق، وإن كان قد وفد فى هذه الحالة من إحدى الممالك اليونانية التى تكونت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر. ونعنى بذلك العملة السكندرية التى حرص ملوك لحيان على تقليدها بدقة لا تقل عما شهدناه فى حالة العملة الأثينية. وهكذا صكت بعض العملات اللحيانية من فئة الأربعة دراخمات على غرار عملة الإسكندرية، "ولا يكاد يفرق بين العملتين سوى وجود اسم الملك اللحيانى مكتوباً بالخط المسند،" على العملة الأولى.(٦٨) وبطبيعة الحال فإن هذا التقليد، الذى يرجح الدارسون أنه بدأ فى القرن الثالث قبل الميلاد، يوضح أهمية الدور الذى لعبه البطالمة فى التجارة بين شبه الجزيرة العربية وبين العالم اليونانىّ، والذى حل محل الدور الأثينىّ فى غرب الجزيرة فى العصر المتأغرق.

ولأن العملة أحد أهم المجالات التى تعرفنا بمدى قوة العلاقات التجارية بين شبه الجزيرة والعالم اليونانىّ فى العصر المتأغرق، فإن تأثرها بالأساليب الفنية اليونانية يمكن أن يعد مؤشراً إلى وجود هذه التأثيرات فى مجالات أخرى، ودليلاً عليها. ويتبين ذلك بشكل خاص من مطالعتنا لبعض المبانى التى أقيمت فى هذه المرحلة، وكذلك من عدد من التماثيل والقطع الفنية اليونانية وذات التأثير اليونانىّ التى وصلتنا. وقد أتت هذه التأثيرات فى مرحلتنا هذه بشكل أساسىّ عبر الإسكندرية، كما أنها اتضحت بشكل قوى فى القرنين الأخيرين قبل الميلاد. ويصور صاحب كتاب "الطواف حول البحر الإريثرى" حجم التعاملات التجارية التى كانت تتم بين بلاد اليونان وشبه الجزيرة فى مرحلة قريبة العهد بالعصر المتأغرق، موضحاً أن مصر كانت تصدر

إلى جنوب غرب شبه الجزيرة "القمح والخمر." وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك بعض الأشياء التى تذهب عادة إلى ملك البلاد خاصة ومنها "الذهب المشغول وصحاف الفضة، وكذلك الخيول والتماثيل، والثياب الرفيعة الصنعة والنوع،" بينما كان اليونانيون يأخذون فى المقابل "المنتجات المحلية .... وبقية الأشياء التى تتبادل تجارياً فى الموانئ الأخرى."(٦٩)

وتستلفت الإشارة إلى استيراد جنوب بلاد العرب لبعض الأوانى الذهبية والفضية الانتباه فى ضوء ما سبق اقتباسه من حديث استرابون وديودوروس عن غنى السبئيين واستخدامهم لأوانى مصنوعة من هذه المعادن التى يستخدمونها أيضاً فى تزيين منازلهم. ومع ذلك فإنه يمكن تفسير التعارض بين هذه المصادر بأن الأوانى اليونانية التى وصلت إلى المنطقة كانت على نطاق ضيق وبغرض التعرف على جوانب التطور فى صناعتها وزخرفتها فى العالم اليونانىّ. ويتأكد ذلك من الإشارة إلى التماثيل (*andriantes*) التى كانت تصحب هذه الأوانى، ومن التأكيد على أنها أحضرت للملك خصيصاً. وهكذا فإنه يمكن القول بأن هذه الأعمال الفنية اليونانية كانت تستورد من الخارج لإرضاء رغبات فئات معينة من مجتمع الجزيرة، وأنها كانت النموذج الذى تأثرت به الأعمال ذات التأثير اليونانىّ التى وصلتنا من مرحلة العصر المتأغرق فى جنوب غرب الجزيرة.

من ناحية أخرى يمكننا ملاحظة أن هذا التأثير اليونانىّ الوافد من مصر البطلمية كان قوياً فى القرنين الثانى والأخير قبل الميلاد، وأنه يمكن تفسيره فى ضوء العلاقات التجارية القوية والمباشرة مع المنطقة والتى بدأت منذ نهاية القرن الرابع وأوائل الثالث قبل الميلاد واستمرت فيما بعد. وفى هذا الصدد فإن الوثائق البردية والنصوص التاريخية التى وصلتنا تدعم ما نلاحظه فى الاتجاهات الفنية للتماثيل والأعمال المنحوتة، بل والأساليب المعمارية. وقد بلغ من قوة هذا التأثير أن بعض الدارسين يفترضون، على أساس التماثيل البطلمية (أو ذات التأثير اليونانىّ) فى جنوب غرب الجزيرة، أن بعض الصناع البطالمة إما قاموا بصنع أعمالهم الفنية خصيصاً للمنطقة، أو أنهم

عملوا فى المنطقة ذاتها لحساب بعض الممولين العرب الأغنياء.(٧٠) وفى واقع الأمر لا يبدو هذا الفرض بعيداً عن الحقيقة فى ضوء العلاقات التجارية القوية وما يذكره صاحب الطواف حول البحر الإريثرى (الفصل ٣٠) من أن هناك خليطاً من الأجانب الذين يقيمون على جزيرة ديوسكوريدا (أىّ: سوقطرة)، وأنهم يضمون عدداً من العرب والهنود واليونانيين. كذلك فإنه ليس بالأمر المستبعد أن تكون بعض قوالب صب التماثيل اليونانية المصنوعة بالإسكندرية قد عرفت طريقها أيضاً إلى المنطقة.(٧١)

(١٣) ديونيسوس - تمنع.

من المحتمل كذلك أن يكون تمثال ديونيسوس الذى عثر عليه فى أحد المنازل بالقرب من البوابة الجنوبية لمدينة تمنع القديمة أحد الأعمال اليونانية المستوردة. فالتمثال الذى يصور ديونيسوس بوصفه زابازيوس Zabasios يبدو فيه الإله بملامح يونانية خالصة وخصلات شعره تتدلى على جانبى رأسه بالكيفية التى تميز عدداً كبيراً من تماثيل الإسكندرية فى تلك الآونة. وبينما يوجد على ظهر الإله جناحان مفرودان كما لو كان فى وضع طائر، فإن يده اليسرى تمتد إلى الأمام وكأنها تمسك بشئ يلتفت إليه الإله بنظره. وعلى أساس هذه النقاط، بالإضافة إلى نجاح الفنان فى تصوير الحركة واهتمامه الواضح بالتفاصيل، فقد وصف هذا التمثال بأنه "بكل تأكيد مستورد"(٧٢) هناك أيضاً تمثالان صغيران من البرونز (ارتفاع الواحد منهما حوالى ٦٠ سم، وطوله ٧٠ سم) عثر عليهما فى الموقع ذاته، ويمثل كل منهما لبؤة ترفع إحدى يديها الأماميتين بحيث تبدو كما لو كانت ستنقض بها على شئ أمامها. ويمتطى الحيوان طفل صغير عار (ربما كان إله الحب اليونانىّ إيروس) وهو يرفع يديه بحيث يمسك فى يده اليمنى بسوط وفى يده اليسرى بسلسلة تنتهى بحلقة حول رأس اللبؤة،

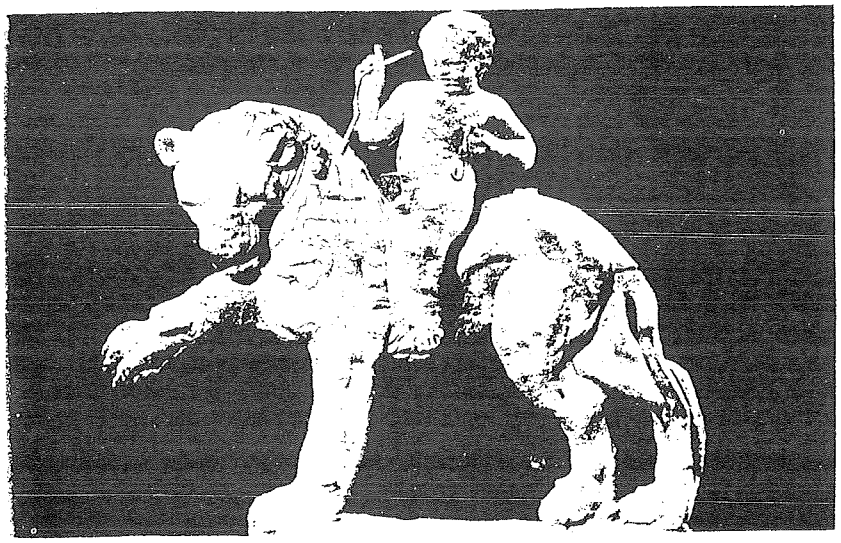

(١٤) طفل ولبوءة - تمنع.

ويتجه ببصره حيث تنظر. وعلى قاعدة أحد التمثالين قام الفنانان (وهما والد وولده) اللذان صنعاهما بكتابة اسميهما (ثوبيم وعقربيم). ويتميز هذا العمل ببعض خصائص فن النحت فى العصر المتأغرق والتى تتضح فى المراعاة الدقيقة لنسب أجزاء الجسم، وفى ليونة الحركة وتناسقها مع وضع الجسم سواء بالنسبة للحيوان أو للطفل. كذلك بمقدورنا ملاحظة الدقة فى تصوير التفاصيل الصغيرة وأسلوب تصفيف الشعر، بالإضافة إلى العرى الكامل للطفل.(٧٣) وقد نفذ العمل ببراعة جعلت بعض الدارسين يعتقد أن هذا التمثال قد صنع على قوالب مستوردة من الإسكندرية، على الرغم من وجود الأسماء العربية لصانعى التمثال،(٧٤) إلا أن هناك من يؤكد أنهما تقليد ناجح إلى حد كبير على أساس أنهما ما يزالان "أقل إتقاناً من الأصول الهيلينستية المماثلة لهما."(٧٥) وفى واقع الأمر فإنه تتبين من كل من الرأيين مهارة الفنان العربىّ، وليس ببعيد فى ذلك الوقت أن تكون مهارته فى صناعة التمثال صاحبتها براعة فى تقليد الأعمال اليونانية تقليداً متقناً إلى هذا الحد. ويرجع تاريخ هذين التمثالين إلى النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد.

وبالإضافة إلى هذه الأعمال اليونانية وذات التأثير اليونانىّ التى تصور

موضوعات يونانية، هناك بعض الأعمال الأخرى التى تعطى فكرة عن تطور فن النحت العربى فى العصر المتأغرق. وتتبين التأثيرات اليونانية هنا من خلال اقتباس الفنان لبعض خصائصها المتمثلة فى محاكاة الطبيعة والاهتمام الواضح بالتفاصيل الدقيقة واللمسات الأخيرة وفى تصوير الثياب والحركة. وقد عثرت البعثة الأمريكية التى قامت بالتنقيب فى جبانة مدينة تمنع على بعض التماثيل واللوحات الجنائزية العربية فى أثناء الحفريات التى قامت بها قرب منتصف القرن الماضى. ومن هذه الأعمال رأس من المرمر لسيدة لا تقل فى جودة صناعتها وإتقان أسلوبها الفنى عن تمثالى الطفلين واللبؤتين السابقين، وهى ترجع إلى أوائل القرن الأول قبل الميلاد. وقد اهتم الفنان بصقل الوجه اهتماماً كبيراً، وبتطعيم العينين بالأحجار الكريمة كما يدل على ذلك الحفر المخصص لتثبيتها. هناك أيضاً ثقبان فى الأذنين لتثبيت القرطين اللذين كانت تتحلى بهما السيدة، وقد انعقدت خصلات الشعر خلف الرأس بشكل يشبه التماثيل المصرية فى العصر المتأغرق.(٧٦)

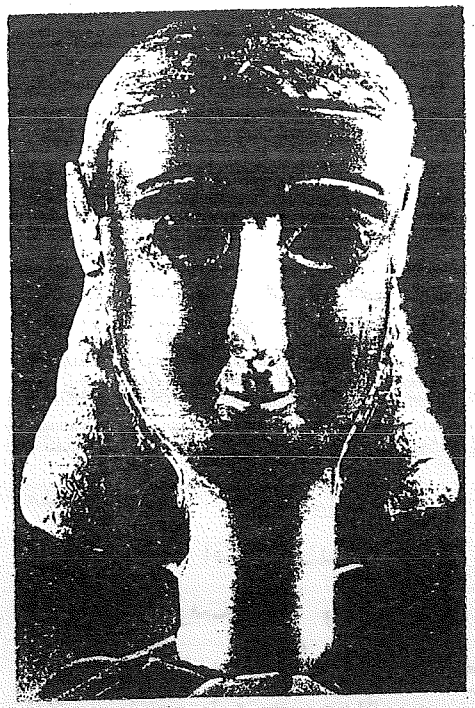

(١٥) رأس سيدة - تمنع.

من التماثيل العربية التى عثر عليها أيضاً فى تمنع الجزء العلوى من تمثال ربما يصور الإلهة المصرية إيزيس. ويتشابه هذا التمثال مع بعض تماثيل الإلهة التى يعود تاريخها إلى القرن الثانى قبل الميلاد والتى يوجد أحدها فى متحف اللوفر فى فرنسا. وعلى الرغم من ذلك، وفى ضوء التأثيرات اليونانية الموجودة بالتمثال، وبالمقارنة ببعض التماثيل العربية الأخرى التى تعكس تأثيرات مشابهة، فإنه يمكن القول بأنه يرجع إلى المدة ما بين عامى ١٥٠ و ٥٠ ق.م.(٧٧) ويبدو التأثير اليونانى أيضاً

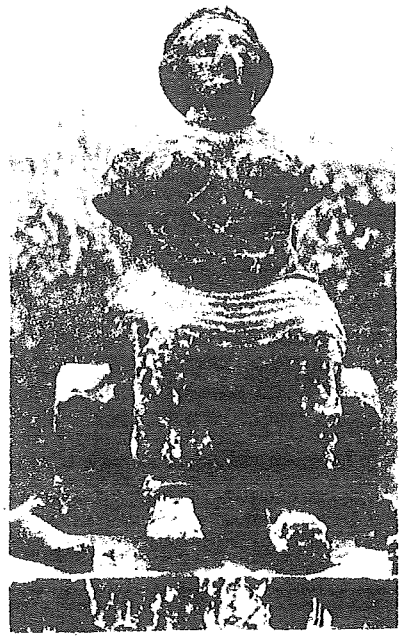

(١٦) سيدة جالسة - تمنع.

فى تمثال مصنوع من البرونز لسيدة جالسة عثر عليه أيضاً فى تمنع ويرجع تاريخه إلى حوالى ٥٠ ق.م. ويتشابه أسلوب تصفيف الشعر فى هذا التمثال مع التماثيل اليونانية تشابهاً واضحاً، مثلما أن أسلوب تصوير ثنايا الرداء الذى ترتديه السيدة يذكرنا بثياب تمثال إيزيس الذى سبقت الإشارة إليه. ويقف هذا التمثال الذى وصف بأنه "يعكس تأثيراً يونانياً واضحاً" على قاعدة حجرية أعدت خصيصاً لهذا الغرض.(٧٨) ومن الطريف أنه قد عثر فى الموقع نفسه الذى وجدت فيه هذه التماثيل على بعض قطع الأوانى الفخارية من نوع يشتهر بصناعته وبزخارفه المميزة ويعرف باسم تيرا سيجيللاتا (*terra sigillata*)، والتى تحمل اسم صانعها اليونانى لينونيس Lenones(٧٩)

ولم تقتصر التأثيرات اليونانية فى المنطقة الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية فى تلك الآونة على العملة أو على النحت بأنواعه. وليس بعجيب فى ضوء قوة تلك التأثيرات أن المنازل والمبانى التى عثر فيها على بعض الأعمال الفنية التى سبقت الإشارة إليها تنم هى أيضاً بأسلوب بنائها عن تأثر المندسين المعماريين العرب ببعض نظم العمارة اليونانية. فالمبنى الأساسىّ فى مدينة تمنع - على سبيل المثال - الذى أعيد بناؤه فى أوائل القرن الأخير قبل الميلاد، اقتبس مندسوه "بعض خصائص فن العمارة الهيلنستية" المعروفة فى ذلك الوقت.(٨٠) ويتبين ذلك من أسلوب تخطيط المبنى، بالإضافة إلى الارتفاع التدريجى بأجزائه، ووضع بعض الدرجات التى تتقدم المبنى وأمام فنائه وساحته الرئيسة. كذلك فإن هناك عدداً من الأفاريز المنحوتة التى تظهر

براعة الفنان العربيّ وقدرته على تطويع بعض العناصر الزخرفية الوافدة عليه، وخاصة الهندسية، والتى وضعت الأسس للقواعد الفنية التى شهدتها العصور التالية فى شبه الجزيرة العربية.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى المنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة فإننا نقترب بذلك ثانية من منطقة شرق البحر المتوسط التى سيطر اليونانيون على تجارتها غالبية العصر المتأغرق. ولهذا فقد كان احتكاك اليونانيين بالمعينيين واللحيانيين والأنباط فى هذه المنطقة احتكاكاً قوياً ومباشراً، مثلما أن ارتباط هذه الجماعات العربية بالصراعات الدائرة بين المملكتين السليوقية والبطلمية أمر لا يمكن تجاهله.(٨١) وهكذا يمكن القول بأن التأثيرات اليونانية التى كانت من بين التأثيرات القوية التى تعرضت لها المنطقة (بالمقارنة بالتأثيرات السورية والمصرية القديمة) قرابة منتصف الألف الأخيرة قبل الميلاد، قد ازدادت قوة ووضوحاً فى العصر المتأغرق. كذلك فإن إقامة اليونانيين ببعض موانئ ساحل البحر الأحمر الشرقية التى استمرت فى بعض المناطق طوال العصر المتأغرق أتاحت لهم فرصة التعامل والاحتكاك المباشر مع الجماعات العربية المقيمة إلى الداخل، تماماً كما كان الحال فى الشمال مع الأنباط الذين أقام "عدد كبير من الرومان وعدد كبير من الأجانب" بين ظهرانيهم.(٨٢)

وبدون شك لعب هؤلاء اليونانيون جميعاً، فى ضوء الظروف التى سبقت الإشارة إليها، دوراً مهماً فى نقل المنتجات والأدوات اليونانية ومعها بعض التأثيرات الفنية إلى المنطقة. وسأكتفى فى الصفحات التالية من هذه الدراسة بإلقاء الضوء على بعض جوانب هذه التأثيرات فى تيماء وديدان (العلا الحالية). ومع ذلك فإن الاقتصار على هاتين المدينتين لا يعنى التقليل من أهمية التأثيرات اليونانية فى المنطقة الواقعة إلى الشمال منهما، التى تضم البتراء وجنوب فلسطين، والتى حظيت فى واقع الأمر بقدر كبير من اهتمام الدارسين.(٨٣) من ناحية أخرى شهدت المدينتان من المسوحات والتنقيبات الأثرية فى العقود الثلاثة الأخيرة ما يلقى مزيداً من الضوء على التأثيرات الفنية اليونانية فيهما وعلى طبيعة العلاقات بينهما وبين عالم العصر المتأغرق.

وتعد تيماء من المواقع الأثرية القديمة المهمة التى شهدت ازدهاراً كبيراً فى العصر الأخير للإمبراطورية البابلية فى عهد ملكها نابونيد الذى اتخذها عاصمة له حوالى منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ونظراً لموقع المدينة على الطريق التجارى بين جنوب غرب شبه الجزيرة وشمالها الغربى فقد لعبت تيماء دوراً مهماً فى الصراعات الإمبراطورية الدائرة بمنطقة الشام وبلاد الرافدين التى شهدتها القرون السابقة. واستمرت أهمية المدينة فى القرون التالية عندما دخلت فى العصر المتأغرق فى دائرة النفوذ النبطى.(٨٤)

وتتميز تيماء بأسوارها الحجرية الضخمة التى كانت تحيط بها فى العصور القديمة والتى ترجع أجزاء منها إلى القرن السادس قبل الميلاد. لقد كانت هذه الأسوار تمتد حوالى ثمانية كيلومترات، ويبلغ عرضها ما بين المترين والثلاثة أمتار. وفى ضوء ارتفاعها الذى يبلغ حوالى خمسة أمتار فى بعض الأجزاء المتبقية منها حتى وقتنا هذا فقد تم تدعيمها بنتوءات بارزة على مسافات متباعدة.(٨٥) من ناحية أخرى عثر فى المدينة فى التنقيبات التى جرت بها مؤخراً فى قصر الحمراء على عدد من العملات المعدنية التى ترجع إلى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد والتى تدل على أن تيماء لم تكن بمعزل عن أرجاء العالم اليونانىّ فى تلك الآونة. وبالإضافة إلى هذه العملات عثر أيضاً على بعض أجزاء الأوانى الفخارية المتعددة الأشكال وعلى بعض أجزاء التماثيل الصلصالية الصغيرة لجمال. وبينما ترجع هذه المعثورات إلى العصر المتأغرق، فمن المهم ملاحظة أنها تشبه نظائرها التى عثر عليها فى مدينة ثاج فى شرق الجزيرة وفى نجران فى جنوبها الغربى.(٨٦)

وإلى الجنوب من تيماء تقع مدينتا ديدان والحجر (أو: مدائن صالح). وهاتان المدينتان من أشهر المدن الأثرية فى شمال غرب شبه الجزيرة نظراً للمقابر المنحوتة الموجودة بهما، والتى تعد من أشهر الآثار المعمارية التى تعكس التأثيرات الفنية اليونانية فى القرن الأول وأوائل الثانى الميلاديين. ولذلك فإن هذه المقابر جميعها ترجع إلى ما بعد حملة أيليوس جاللوس على شبه الجزيرة العربية قرب نهاية القرن الأخير قبل الميلاد، الأمر الذى يخرج

بها عن الحدود الزمنية للعصر المتأغرق موضوع هذه الدراسة، ويشجع فى الوقت ذاته على تتبع التأثيرات الموجودة بها فى دراسة مستقلة.(٨٧) من ناحية أخرى فإن هناك من الأدلة الأثرية الأخرى التى تسبق هذه المقابر ما يوضح كيفية تطور التأثيرات اليونانية فى المنطقة حتى اتضحت فى بداية المرحلة التالية بهذه القوة وذلك الوضوح.

ويتشابه موقع ديدان والحجر من حيث الأهمية مع تيماء والمدن التجارية الأخرى الواقعة فى الشمال الغربى لشبه الجزيرة، لوقوعهنّ جميعاً على الطريق التجارى الممتد من جنوب غرب شبه الجزيرة إلى شمالها الغربى. إلا أن ديدان تتميز بأنها كانت عند مفترق طرق؛ إذ أن الطريق كان يتفرع عندها ليفضى عبر الطريق المتجه إلى الشمال الشرقىّ إلى بابل وبلاد الرافدين، مروراً بتيماء، وعبر فرعه الآخر، وهو الفرع الرئيس، إلى البتراء وبعدها غزة على ساحل البحر المتوسط.(٨٨) وكما توضح الإشارات إلى ديدان فى كتابات العهد القديم فقد لعبت المدينة دوراً مهماً فى عصر الدولة السبئية، وهو الأمر الذى يؤكده أيضاً استرابون فى معرض حديثه عن حملة أيليوس جاللوس.(٨٩)

وتشير الأسوار التى تم الكشف عنها فى عدد من المواقع المحيطة بالمدينة القديمة إلى ازدياد أهميتها فى القرون الأخيرة قبل الميلاد. وتتشابه هذه الأسوار فى أسلوب بنائها مع الأسوار التى شاهدناها من قبل فى نجران وغيرها من المدن المزدهرة فى العصر المتأغرق. ومع ذلك فإن الشئ الذى يستلفت الانتباه فى حالة ديدان هو القمم الصخرية التى تعترض هذه الأسوار فى كثير من المواضع. لقد اضطرت هذه القمم المهندسين المعماريين فى بعض الأحيان إلى تعديل مسار الأسوار، كما حدث على سبيل المثال فى الطرف الشمالىّ حيث بنيت الأسوار على شكل حدوة حصان، وفى بعض الأحيان الأخرى إلى جعل الأسوار تلتحم بالارتفاعات الصخرية فى المناطق التى لا يمكن الدوران حولها(٩٠) ويرجع السبب فى ذلك إلى طبيعة الموقع الذى أقيمت عليه أهم مبانى المدينة فى تلك الآونة، والتى تذكرنا فى حقيقة الأمر

(١٧) أسوار ديدان - ديدان.

بطبيعة الموقع الذى بنيت عليه البتراء عاصمة الأنباط. وقد حافظت ديدان على ازدهارها حتى قرب نهاية العصر المتأغرق عندما تمكن الأنباط من السيطرة على مدينة الحجر التى تقع على مقربة منها إلى الشمال. عندئذ قام الأنباط بتحويل الطريق التجارى الذى يتجه جنوباً ماراً بديدان بحيث يمر إلى الشرق منها. حدث ذلك فى القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت الحجر منذ ذلك التاريخ هى المركز التجارى المهم بالمنطقة فى الأعوام التالية وحتى سقوط دولة الأنباط ذاتها على يد الرومان عام ١٠٦م.(٩١)

ويتبين من هذا الحديث عن التأثيرات الفنية اليونانية فى شبه الجزيرة العربية فى العصر المتأغرق أن هذه التأثيرات وصلت بدرجات متفاوتة من القوة والوضوح إلى كافة أرجاء الجزيرة، وإلى مناطق لم تصل إليها فى المرحلة السابقة. وفى واقع الأمر فإن قوة هذه التأثيرات فى تلك الآونة لا ترجع فقط إلى مجىء اليونانيين إلى الجزيرة واستيطانهم لبعض مناطقها ومحاولاتهم الدائبة استكشاف مجاهلها. لقد خرج العرب بدورهم من شبه

الجزيرة وذهبوا إلى أرجاء متفاوتة من العالم المتأغرق ووصلوا إلى جزر بلاد اليونان ذاتها. وقد بلغت قوة هذه التأثيرات فى جنوب غرب شبه الجزيرة أنها تثير بالنسبة لكثير من الأعمال الفنية التى عثر عليها بالمنطقة مشكلة تشبه ما يواجهه الدارسون للفن اليونانىّ فى أعقاب سقوط بلاد اليونان على يد الرومان. ففى كثير من الأحيان يصعب تحديد ما إذا كانت الأعمال الفنية ترجع إلى المنطقة ذاتها، أم أنها وفدت إليها من مناطق أخرى، أم أنها نسخ عربية لأعمال يونانية الأصل.

إن نظرة واحدة إلى الدراسات التى كتبت عن التأثيرات الشرقية فى الفن اليونانىّ فى بلاد اليونان فى مراحله المختلفة، ابتداء من عصر الاستشراق مروراً بالعصر الكلاسيكىّ وانتهاء بالعصر المتأغرق، تجعل المرء يتعجب من أن التأثيرات اليونانية على الأعمال الفنية لشبه الجزيرة العربية لم تحظ من قبل الباحثين بما يقابل هذه الدراسات فى قليل أو كثير. ربما أن مناطقاً كثيرة من شبه الجزيرة العربية لم تكشف النقاب بعد عما يوجد فى باطنها من آثار، ومع ذلك فإن ما عثر عليه، على الرغم من قلته، يستحق الوقوف عنده وإعادة النظر إليه فى ضوء ما يتم الكشف عنه أولاً بأول.

نوفمبر ٢٠٠١م

الحواشى

١) سوف يستخدم اصطلاح العالم اليونانىّ فى هذه الدراسة للإشارة إلى المناطق التى أقام فيها اليونانيون فى العصر المتأغرق بالإضافة إلى بلاد اليونان ذاتها، وبالتالى فإن التأثيرات اليونانية التى يشير إليها عنوان البحث يقصد بها التأثيرات اليونانية الوافدة من كافة هذه المناطق، فى المدة التى أعقبت الإسكندر وحتى حملة أيليوس جاللوس على شبه الجزيرة عام ٢٤ ق.م. من ناحية أخرى أطلق الكتاب اليونانيون على المنطقة التى سكنها العرب فى العصور القديمة اسم "أرابيا" Arabia، التى يتعارف الدارسون على تعريبها إلى شبه الجزيرة العربية، أو الجزيرة العربية. وسوف نستخدم هذه التسميات بالدلالة نفسها دون أية إشارة إلى الحدود السياسية القائمة حالياً، ومع مراعاة أن حدود المنطقة كانت تشتمل فى العصور القديمة على بعض المناطق الشمالية والشمالية الغربية التى تشكل امتداداً طبيعياً لها، والتى سكنتها بعض القبائل العربية فى المرحلة التاريخية التى يتناولها البحث بالدراسة. راجع G. W. Bowersock, *Roman Arabia*, London, 1983, 1 الذى يلحظ أن كلمة "أرابيا" فى كتابات المؤرخين اليونانيين والرومان يعوزها الوضوح.

٢) انظر - على سبيل المثال - الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانىّ والرومانىّ، والدكتور نقولا زيادة، دليل البحر الإرثرى وتجارة الجزيرة العربية البحرية، وكذلك الدكتور سيد أحمد الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، فى: دراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، صفحات ٢٠١-٢١٣، و ٢٥٩-٢٧٧، و ٤٠١-٤٢٨، على الترتيب. وراجع أيضاً مؤخراً الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد، النشاط التجارى للعرب القدماء خارج الجزيرة العربية من خلال النقوش العربية القديمة وروايات الكتاب الكلاسيكيين، فى: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربىّ على مر العصور، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، حصاد ٨، القاهرة، ٢٠٠٠، صفحات ١٧-٣١

٣) ترد الإشارات إلى هذه الموضوعات عادة فى سياق الحديث عن مصادر

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم أو عن آثارها بشكل عام، انظر الدكتور عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، طبعة مزيدة ومنقحة، القاهرة، ١٩٩٤، صفحات ٨٢-٨٣، حيث يتحدث عن آثار قتبان، وقارن أيضاً المعالجة الأكثر تفصيلاً للدكتور لطفى عبد الوهاب يحى، العرب فى العصور القديمة: مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٩، صفحات ١٢٨-١٤٧ وانظر كذلك: R. M. Haywood, *Ancient Greece and the Near East*, New York, 1964

٤) انظر D. Potts, "Thaj in the Light of Recent Research," *Atlal* 7 (1983) 96, where he says: "The Influence of Hellenism in the east has already been explored in India and Afghanistan, Iran and Kuwait; yet it is far less clear when we turn to Arabia beyond the Nabataean zone of influenc."

٥) انظر - على سبيل المثال - د. عبد الرحمن الطيب الأنصارى، قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام فى المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٢، وأيضاً نتائج المسوحات الأثرية التى تمت فى الربع الأخير من القرن الماضى تحت إشراف إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية ونشرتها فى حوليتها "أطلال"، والتى عدلت بعض آراء الرحالة والأثريين السابقين عن بعض المناطق الأثرية الموجودة بالمملكة.

٦) على عكس الملوك الفرس الذين حملوا لقب الملك المعظم دون وجه حق لأنهم كانوا يحكمون فقط جزءاً من هذه القارة. انظر أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:١-٢). وفيما يتعلق بنظرة حديثة إلى طبيعة هذه المشروعات راجع: A. E. Samuel, "Philip and Alexander as kings: Macedonians and Merovingian Parallels," *The American Historical Review*, 93 n. 5 (1988) 1270 with note 1 الذى يصنف محاولات الدراسين التعرف على دوافع الإسكندر ونواياه. انظر كذلك سيد أحمد الناصرى، مصر والشرق الأدنى فى العصر الهللينستى، القاهرة، ١٩٩٢، صفحات ٨٢-٨٣ و ٨٥

٧) راجع سيد أحمد الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، صفحات ٤١٦-٤١٨، وانظر كذلك: W. W. Tarn and G. T. Griffith, *Hellenistic Civilization*, 3rd edition, Cleveland, Ohio, 1952, 240

٨) راجع سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٤١٤-٤١٥، وأيضاً: P.

M. Fraser, *Ptolemaic Alexandria*, vol. I, Oxford, 1972, 176 - 177 الذى يركز على جهود البطالمة فى هذا المجال.

٩) راجع أريانوس، حملات الإسكندر، (٧:١٩-٢١)، وانظر أيضاً: W. W. Tarn, *Alexander the Great*, Cambridge, 1948, 118 - 119 وراجع كذلك: P. M. Fraser, *op. cit.*, 173-174 الذى يشير إلى كتاب أجاثارخيديس "عن البحر الأحمر" فى القرن الثانى قبل الميلاد، وإلى كتاب "عن البحر الإريترى" لمؤلفه المجهول، فى القرن الأول الميلادى، ويلحظ أيضاً أن أجاثارخيديس استمد معلوماته من الأرشيف الملكى بالإسكندرية ومن الرحالة والتجار وشاهدى العيان. لا شك أيضاً أن الإسكندر كان يعلم بالمحاولة السابقة التى قام بها بحار يونانىّ يدعى سكولاكس للدوران حول شبه جزيرة العرب، راجع سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، ص ٤٠٥ مع الحاشية رقم ٨ على ص ٤٢٣، وقارن P. Hogemann, *Alexander der Grosse und Arabien*, in *Zetemata: Monographie zur Classischen Altertumswissenschaft*, Heft 82, Munchen, 1985, 45 الذى يرجح أن محاولة أناكسيكراتيس، الذى بدأ رحلته من خليج السويس وفى نيته الوصول إلى الخليج العربىّ، كانت أسبق بقليل من محاولات زملائه فى شرق الجزيرة، ويرى (p. 80) أنها حدثت حوالى عام ٣٢٤ ق.م.

١٠) راجع لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق، صفحات ٣٢٦-٣٣٣

١١) راجع S. A. Huzayyin, *Arabia and the Far East*, Cairo, 1942, 26

١٢) راجع J. Boadrman, *The Greeks Overseas: Their Early Colonies and Trade*, 2nd edition, London, 1973, 51-52, 102

١٣) انظر و. ف. أولبرايت، آثار فلسطين، ترجمة الدكتور زكى اسكندر والدكتور محمد عبد القادر محمد، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٤٠

١٤) راجع Boardman, *op. cit.*, 54

١٥) انظر أولبرايت، المرجع السابق، ص ١٣٩

١٦) راجع Boardman, *op. cit.*, 54

١٧) راجع Boardman, *ibid.*, 54

١٨) انظر أولبرايت، المرجع السابق، ص ١٣٩، وكذلك C. M. Kraay, *Archaic and Classical Greek Coins*, London, 1976, 292ff, *pace* Hogemannn, *op.*

cit., 49، علماً بأنه كانت هناك دار لصك العملة فى غزة بفلسطين.

١٩) راجع الدكتور حامد أبو درك وعبد الجواد مراد، تقرير مبدئى عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء فى تيماء: الموسم الرابع والأخير (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، أطلال، المجلد الحادى عشر (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٣٩ حيث يوجد الاقتباس، وكذلك ص ٤١

٢٠) انظر أولبرايت، المرجع السابق، صفحات ١٣٩-١٤٠

٢١) راجع A. Grohmann, *World Encyclopaedia of Arts.*, S.V. *Arabia*, 535 and 555

٢٢) انظر Grohmann, *op. cit.*, 556-557 وكذلك الإشارات إلى W. F. Albright, A. Jamme and B. Segall ومناقشاتهم بشأن هذه الموضوعات.

٢٣) انظر Grohmann, *op. cit.*, 557 وكذلك الإشارات إلى المناقشات السابقة.

٢٤) انظر: G. G. Hill, *The Ancient Coinage of Southern Arabia, Proceedings of the British Academy*, 1915-1916, 82-83, *pace* Huzayyin, *op. cit.*, 26

٢٥) راجع Boardman, *op. cit.*, 52

٢٦) راجع مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم، مجلة العصور، المجلد الثانى، الجزء الأول، ١٩٨٧، ص ٢١ وكذلك جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، بيروت-بغداد، ١٩٧٦، صفحات ٦٢١-٦٢٢

٢٧) راجع سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٤٠٤-٤٠٥، وكذلك Boardman, *op. cit.*, 51, 115-116.

٢٨) توجد غالبية مكتشفات هذه البعثة حالياً فى متحف الكويت. انظر إبراهيم طاهر البقلى، دليل المتحف الكويتى، الكويت، ١٩٨٠، وعن أعمال البعثة فى الجزيرة انظر خالد سالم محمد، جزيرة فيلكا: لمحات تاريخية واجتماعية، الكويت، ١٩٨٠، صفحات ١٤-٣٣، وراجع أيضاً: H. V. F. Winstone and Z. Freeth, *Kuwait: Prospect and Reality*, London, 1972, esp. 28 - 45 (henceforward Winstone and Freeth).

٢٩) راجع إبراهيم طاهر البقلى، المرجع السابق، ص ٢٤، وكذلك Winstone and Freeth, *op. cit.*, 38

٣٠) انظر إبراهيم طاهر البقلي، المرجع ذاته، ص ٣٠، حيث توجد ترجمة للنقش.

٣١) راجع Winstone and Freeth, *op. cit.*, 38, where they say: "Unqestionably Hellenic in its architectural features as the Parthenon."

٣٢) انظر إبراهيم طاهر البقلي، المرجع السابق، صفحات ٢٢-٢٣

٣٣) راجع إبراهيم طاهر البقلي، المرجع ذاته، ص ٢٦

٣٤) انظر Winstone and Freeth, *op. cit.*, 39

٣٥) راجع Winstone and Freeth, *ibid.*, 39 - 40

٣٦) راجع إبراهيم طاهر البقلي، المرجع السابق، ص ٢٧

٣٧) راجع إبراهيم طاهر البقلي، المرجع ذاته، ص ٢٣

٣٨) راجع J.-F. Salles, "The Arab-Persian Gulf under the Seleucids," in *Hellenism in the East: The Interaction of Greek and non-Greek Civilization from Syrian to Central Asia After Alexander,* Dukwork, 1987, 75 - 109, esp. 85 - 86

٣٩) راجع Potts, *op. cit.*, 92-93

٤٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، المعالم الأثرية فى البلاد العربية، الجزء الثانى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٦٨ (علماً بأنه سيشار إليه بعد ذلك بوصفه المعالم الأثرية فى البلاد العربية). انظر كذلك عبد الله حسن مصرى، مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، إدارة الآثار والمتاحف، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٥، صفحات ٣٧-٣٨ (بعد ذلك سيشار اليه: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية).

٤١) انظر الحاشية السابقة، وراجع كذلك Winstone and Freeth, *op. cit.*, 41 وخالد سالم محمد، المرجع السابق، ص ٢٨

٤٢) راجع Salles, *op. cit.*, 87

٤٣) انظر بوتس Potts, *op. cit.*, 86-96 وكذلك N. St. J. Groom, "Gerrha: A 'Lost' Arabian City," *Atlal* 6 (1982) 97 - 108 وكذلك: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، ص ٣٨

٤٤) راجع المعالم الأثرية فى البلاد العربية، ص ١٦٨

٤٥) انظر Potts, *op. cit.*, 92-93

٤٦) راجع Potts, *ibid.*

٤٧) انظر خالد عبد العزيز الدايل، تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الثانى لحفرية دومة الجندل ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، أطلال، المجلد الحادى عشر (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٥٥

٤٨) راجع أطلال، المجلد السابع (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٩٧.

٤٩) انظر المعالم الأثرية فى البلاد العربية، ص ١٦٨

٥٠) راجع Groom, *op. cit.*, 97: "The whereabouts of the ancient city of Gerrha presents a tantalizing problem."

٥١) Strabo, 16.4.19

٥٢) Polybius, 13.9.1-4 وكما هو معروف فإن كتابات بوليبيوس تتميز بقربها من الأحداث وباعتمادها على مصادر معاصرة لها.

٥٣) انظر عبد الرحمن الطيب الأنصارى، قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام فى المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٢

٥٤) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، المرجع ذاته، ص ٢٥

٥٥) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، المرجع ذاته، ص ٢٧

٥٦) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، المرجع ذاته، صفحات ٢٥-٢٦، مع اللوحات على صفحات ٩٤-١٠١ و ١٠٤-١٠٥

٥٧) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، المرجع ذاته، لوحة ١٠١، حيث يوجد أيضاً الاقتباس.

٥٨) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، المرجع ذاته، خاصة الجزء الخاص بالتماثيل الحجرية والقطع الفخارية، صفحات ٢٩-٣١، والإشارة إلى الفخار المطلى الذى عثر على كميات كبيرة منه يشبه بعضها فى شكله العام الأمفورا اليونانية. انظر كذلك الدكتور عزت زكى حامد قادوس، آثار العالم العربى فى العصرين اليونانى والرومانى، الجزء الأول: الفن الآسيوى، الإسكندرية، ١٩٩٩، صفحات ٢٩٤-٣٠٤

٥٩) انظر J. Zarins, *et alii.*, "Preliminary Report on the NAJRAN/UKHDUD Survey and Excavations 1982/1402 AH," *Atlal* 7 (1983) 29

٦٠) راجع Zarins, et alii., *ibid.*, 29، وكذلك إبراهيم طاهر البقلى، المرجع السابق، صفحات ٢٥-٢٦

٦١) انظر Zarins, et alii., *ibid.*, 32, where they refer to a "Hellenistic context".

٦٢) انظر Zarins, *ibid.*, 35 - 36

٦٣) راجع المعالم الأثرية فى البلاد العربية، ص ١٨١، وكذلك Zarins, *ibid.*, 24

٦٤) انظر لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق، صفحات ١٢٢-١٢٣

٦٥) راجع S. Price, "The History of the Hellenistic World," in *The Oxford History of the Classical World,* ed. by J. Boardman, A. Griffin and O. Murray, Oxford, 1986, 329

٦٦) راجع Boardman, *op. cit.*, 54: "Few Greek coins have so far been found on Near Eastern sites before 480 B.C."

٦٧) راجع لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق، صفحات ١٤٢-١٤٣، وكذلك Ph. K. Hitti, *History of the Arabs*, 10th edition, London, 1970, 57 وأيضاً Huzayyin, *op. cit.*, 26 حيث يلحظ أن التأثير كان واضحاً بدرجة أكبر فى شكل العملة (morphology)، عنه فى معيارها أو قيمتها (standard)

٦٨) راجع سيد أحمد الناصرى، المرجع السابق، صفحات ٤١٣-٤١٤، مع الحاشية ٤٦ على ص ٤٢٥، والإشارة إلى G. G. Hill, *Catalogue of Coins in British Museum,* London, 1922, Pl. lxxxii

٦٩) انظر نقولا زياده، "دليل البحر الإرثرى وتجارة الجزيرة العربية البحرية،" فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، صفحات ٢٥٩-٢٧٧، وخاصة ص ٢٦٦ حيث توجد الترجمة. راجع أيضاً Tarn, *op. cit.*, 255 الذى يفترض أن صاحب كتاب الطواف

حول البحر الإريثرى يتحدث هنا أيضاً عن مرحلة سابقة له.

٧٠) راجع S. E. Sidebotham, *Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 B.C. - A.D. 217*, Leiden, 1986, 6

٧١) انظر Grohmann, *op. cit.*, s.v. *Arabia*, 555

٧٢) راجع Grohmann, *ibid.*, 534, where he says: "[It] is certainly an importation."

٧٣) راجع لطفى عبد الوهاب يحى، المرجع السابق، ص ١٣٧

٧٤) انظر Grohmann, *op. cit.*, 534 حيث يحتمل أنهما نسختان عن أصل يونانى مستورد من مصر: "Perhaps copied from a Greek original imported from Egypt"، وقارن كذلك (p. 555) حيث يذكر أنهما صنعا على أساس قوالب سكندرية: "[They] were made from Alexandrian molds which had been imported from Egypt" انظر كذلك الإشارة إلى B. Segall, "Sculpture from Arabia Felix, the Hellenistic period," *AJA*, 59 (1955) 210 and pl. 56, figs 1,2

٧٥) راجع عبد العزيز صالح، المرجع السابق، صفحات ٨٣-٨٤

٧٦) انظر Grohmann, *op. cit.*, *Arabia*, 556 راجع كذلك عبد العزيز صالح، المرجع ذاته، صفحات ٨٤-٨٥ الذى يشير إلى ظروف الكشف عن هذا التمثال وتسمية السيدة بمريم، أو مريام.

٧٧) انظر Grohmann, *ibid.*, 555 ومن المعروف أن عبادة إيزيس كانت منتشرة فى العالم المتأغرق وفى المناطق التى ذهب إليها المصريون واليونانيون فى تلك الآونة.

٧٨) انظر Grohmann, *ibid.*, 555

٧٩) انظر Grohmann, *ibid.*, 555

٨٠) راجع عبد العزيز صالح، المرجع السابق، صفحات ٨١-٨٢

٨١) انظر Sidebotham, *op. cit.*, 2 with the literature cited. وراجع كذلك Fraser, *op. cit.*, 175-177

٨٢) راجع Fraser, *ibid.*, 177 وأيضاً Plinius, *Historia Naturalis*, vi. 159 الذى يشير إلى مدينة أميلونى التى كانت مستوطنة أسسها أهالى ميليتوس (ربما

بمساعدة من بطلميوس الثانى): *oppidum Ampelone, colonia milesiorum*
وكذلك Strabo, 16.4.21 حيث يقول نقلاً عن أحد أصدقائه الفلاسفة المقيم بالبتراء: *pollous men Rwmaiwn, pollous de kai twn allwn xenwn*

٨٣) عن البتراء وجنوب فلسطين انظر أولبرايت، المرجع السابق، صفحات ١٤٣-١٧٦، وكذلك عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ١٦٧

٨٤) راجع لطفى عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٣٣، وكذلك مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، ص ٩٧

٨٥) انظر المعالم الأثرية فى البلاد العربية، ص ١٥٩

٨٦) راجع حامد أبو درك و عبد الجواد مراد، المرجع السابق، صفحات ٣٨، ٤١ - ٤٣

٨٧) انظر مقالتى القادمة بعنوان "التأثيرات الفنية الكلاسيكية فى شبه الجزيرة العربية فى العصر الرومانى".

٨٨) انظر الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، والدكتور أحمد حسن غزال، والدكتور جفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب فى المملكة العربية السعودية: العلا (ديدان) والحجر (مدائن صالح)، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م، صفحات ١-٣، وكذلك A. A. Nasif, *Al'Ula: An Historical and Archaeological Survey with Special Reference to its Irrigagion System,* Al-Riyadh, 1988, 3

٨٩) انظر Hitti, *op. cit.* 42 وكذلك Nasif, *op. cit.*, 3 with the literature cited.

٩٠) راجع Nasif, *op. cit.*, Plates IX - XIV وانظر تعليقه على الصورة X(a) حيث يلحظ أن وعورة المنطقة جعلت من الصعب عليه أن يضع فتيها قامة تشخيص الأبعاد.

٩١) انظر Nasif, *op. cit.*, 20-21 وأيضاً جمال الدين صالح سراج على، تقرير عن نتائج حفرية الخريبة الجنوبية بالحجر، أطلال، العدد الثالث عشر (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٢٣ مع الحاشية، حيث اعتمدوا على نتائج تحليل بعض العينات بواسطة كربون ١٤

ثبت الصور (*)

(١) معد يكرب - مأرب (نقلاً عن *World Encyclopaedia of Arts*).

(٢) نقش إيكاروس - فيلكا (نقلاً عن دليل المتحف الكويتى).

(٣) إلهة النصر - فيلكا (نقلاً عن دليل المتحف الكويتى).

(٤) الإسكندر الأكبر - فيلكا (نقلاً عن دليل المتحف الكويتى).

(٥) إلهة الجمال - فيلكا (نقلاً عن دليل المتحف الكويتى).

(٦) دولفين - الفاو (نقلاً عن قرية الفاو: صورة للحضارة العربية).

(٧) ناقة وجمل - الفاو (نقلاً عن قرية الفاو: صورة للحضارة العربية).

(٨) حربوقراط - الفاو (نقلاً عن قرية الفاو: صورة للحضارة العربية).

(٩) إلهة أو سيدة - الفاو (نقلاً عن قرية الفاو: صورة للحضارة العربية).

(١٠) إلهة أو سيدة - الفاو (نقلاً عن قرية الفاو: صورة للحضارة العربية).

(١١) تماثيل صغيرة - نجران (نقلاً عن حولية أطلال).

(١٢) عملة حميرية - سبأ (نقلاً عن *History of the Arabs*).

(١٣) ديونيسوس - تمنع (نقلاً عن *World Encyclopaedia of Arts*).

(١٤) طفل ولبوءة - تمنع (نقلاً عن *World Encyclopaedia of Arts*).

(١٥) رأس سيدة - تمنع (نقلاً عن *World Encyclopaedia of Arts*).

(١٦) سيدة جالسة - تمنع (نقلاً عن العرب فى العصور القديمة).

(١٧) أسوار ديدان - ديدان (نقلاً عن *Al'Ula*).

(*) الإشارة بين القوسين إلى أسماء أعمال وردت بالحواشى.